20 me. année No 981

Le Caire 21 — 4 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٧١ — ٢١ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

غبار حول الكتلة الإسلامية!

للأستاذ سيد قطب

يجب أن يتوقع الدعاة إلى الكتلة الإسلامية غبارا كثيرا يثار حولهم، وحول الفكرة ذاتها، غبارا يثار من نواحي شتى: في الداخل وفي الخارج، بطارق مباشرة وغير مباشرة، تصريحا وتلميحا، من قريب ومن بعيد، عن طريق الأخبار والتعليقات والإشاعات والأراجيف، ومن طريق بعض السلطات وبعض العناصر وبعض الجماعات ...

يجب أن يتوقعوا هذا كله منذ اليوم، لأن الدعوة إلى الكتلة الإسلامية مرادفة للدعوة إلى البعث الإسلامي. والبعث الإسلامي آت لاريب فيه، بل قائم لاشك فيه؛ ولكن المعارضين والمناوئين لهذا البعث لن يستسلموا بسرعة، وان يسلموا عن طواعية. إنهم سيقاومون هذا البعث إلى آخر لحظة، وسيستخدمون جميع الوسائل، ومن بين هذه الوسائل تخويف المسلمين أنفسهم من هذا البعث! أو إثارة مخاوفهم وشكوكهم حول الدعوة وحول الدعاة!

إن البعث الإسلامي آت لا محالة، لأنه حركة طبيعية غير مصطنعة. حركة تجيء في أوانها، ولم يكن مستطاعا أن تجيء قبل هذه الأوان.. ولقد حاولها الكثيرون من قبل منذ أيام جمال الدين الأفغاني بل قبله، ولكنها لم تتم، لأنها في ذاك الوقت كانت دعوة رواد سابقين لزمانهم ولمقتضيات هذا الزمان. أما اليوم فهي دعوة في أوانها بعد أن تهيأت لها معظم الأسباب

لقد انتهى العالم إلى كتلتين اثنتين قائمتين بالفعل، تتنازعان فيما بينهما على أرض الكتلة الثالثة ومواردها. كذلك انتهى عهد النوم والجمود الذي كانت تعانيه الكتلة الثالثة، وقامت شعوبها بلا استثناء تتملص من براثن الاستعمار. ومهما تكن تلك البراثن من الشراسة والقوة، فإن تملص الفريسة وحده يكفي لإثبات البعث الجديد..

ولقد آنت الحضارة الغربية أقصى ثمراتها. وبدا عليها الإفلاس. أو على الأقل أمارات الإفلاس. وبدأت البشرية تتلفت إلى منقذ — كما كانت تتلفت قبيل مولد الإسلام — والمذهب الشيوعي في الجانب الشرقي هو بدوره مذهب مادي كالحضارة الغربية، لا يختلف في طبيعته عن طبيعة الحضارة المادية الغربية. وهو مذهب تعسفي يصدم الفطرة البشرية ويعيش على كبتها وكبحها بقوة الحديد والنار. فهو مذهب ضد الطبيعة البشرية؛ فمن المحال أن تطمئن إليه الإنسانية.. لقد تندفع إليه فرارا من نار الاستغلال الرأسمالي والطغيان الاستعماري.. ولكنه مجرد اندفاع اضطراري؛ كالمستجير من الرمضاء بالنار كما يقولون في الأمثال!

ويبقى النظام الاجتماعي الإسلامي وحده ، يحمي البشرية من طغيان الاستغلال وطغيان الاستعمار ، دون أن يكبت الفطرة البشرية ، ويحكمها بالحديد والنار ..

وهذا ما يجعل البعث الإسلامي حركة كونية. حركة إنسانية. حركة طبيعية .. وهذا ما يجعله ضرورة لا لتخليص الرقعة الإسلامية وحدها من شر الاستعمار ، ووقايتها في الوقت ذاته من شر الشيوعية ، بل لتخليص البشرية كلها من المأزق الذي صارت إليه ، ومن المأق الذي تعانيه ، ومن الخواء الذي انتهت إليه حضارة الغرب بعد ثمانية عام !

ولكن هذا كله ليس معناه أن حركة البعث الإسلامي ستلقى ترحيباً من الكتلة الشرقية أو الكتلة الغربية ، أو أسيادهما وعملائهما ودعاتهما في الوطن الإسلامي .. وإذن فسيثور غبار كثير . وقد بدت طلائعه من نواحي شتى . وفي صور شتى . وبوسائل شتى ..

أخذ بعضهم يثير الريب والشكوك ، مدعياً أن الإنجليز أو الأمريكان هم الذين يخلقون حركة التكتل الإسلامية ليقفوا بها في وجه الشيوعية ..

وفي ذات الوقت أخذوا يثيرون المخاوف من رد الفعل في العالم المسيحي أي الكتلة الغربية — إذا تكتل العالم الإسلامي

وهكذا في وقت واحد ، يكون العالم المسيحي هو الذي يخلق حركة التكتل الاسلامي ، ويكون هو نفسه الذي يكره حركة التكتل الإسلامي !!!

ومرة يأتي الغبار من جهة الهند ، ومرة يجيء من ناحية لبنان ، ومرة يجيء من فرنسا ، ومرة ينبع من الأرض المصرية .. والصحافة المصرية المأجورة لأفلام المخابرات البريطانية والأمريكية تنفذ تعليمات هذه الأفلام .. وعملاء الشيوعية ينثرون الريب والشكوك في كل مكان ..

كل هذا يجب أن يكون متوقعاً . ويجب مع ذلك أن تسير الدعوة إلى الكتلة الإسلامية في طريقها لاتحمل هذا الغبار . وأن تسير الاستعدادات العملية في طريقها بضغط الشعوب الإسلامية والعناصر الواعية فيها بصفة خاصة ، فلا تترك للحكومات ، كما تركت جامعة الدول العربية للأهواء !

إنه لا خطر على حركة البعث الإسلامية أن يستغلها الاستعمار — كما حدث أحياناً لجامعة الدول العربية — لأن طبيعة الجامعة الإسلامية غير طبيعة الجامعة العربية

إن الجامعة العربية حركة قومية عنصرية بعيدة عن الروح والضمير ، وحركة الجامعة الإسلامية حركة عقيدة وبعث روحي شامل .. فإذا جاز لعملاء الاستعمار أن يوجهوا الجامعة العربية أو يعرقلوها ، فإن الجامعة الإسلامية سوف تستعصي على التوجيه

إن حركة التكتل الإسلامي لن تتم لأن بضعة حكام من كل دوله سيجتمعون ويتآمرون ! بل إنها ستتم لأن حركة وعي إسلامي ستعمر القلوب والأرواح ، ومتى استيقظت الروح الإسلامية فهي بطبيعتها تأبى أن تسخر لأعدائها . إن الإسلام عقيدة استعلاء ، فمن المحال أن تخضع أو تذل . إنها تقبل الخضوع يوم تكون هامدة خامدة ، فأما حين تستيقظ فلا

وإذن فلا خوف من استغلال هذه اليقظة لحساب الاستعمار والاستعمار يدرك هذا ، ويثير الغبار حول الحركة الإسلامية ، لأن تبلورها وبروزها هو النذير الأكبر على تقلص ظله البغيض

هذه حقائق يجب أن تعرفها الشعوب الإسلامية ، وأن تنفض عنها الغبار الذي يثيره أعداؤها من الجانبين ، ويسخرون له أقلاماً وصحفاً وألسنة ، تعيش في جسم الوطن الإسلامي !

وبعض الذين نخب الاستعمار الغربي أفئدتهم ، فأفئدتهم هواء ، يرتجفون من الذعر أن تثير الدعوة الإسلامية ثائرة العالم الغربي والعالم الهندي ! .. كأن هذا العالم أو ذاك قد سالم المسلمين في يوم من الأيام ، أو أنه يسالمهم الآن !

إن فظائع وشناعات ترتكب كل يوم ضد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . والأقليات الإسلامية في بعض البلاد تباد إبادة منظمة ، وتضطهد بنفس الأساليب التي اتبعتها محاكم التفتيش الأسبانية أو أشد . .

وعلى ذكر الأسبان ها نحن أولاء نراهم يقومون بدور السمسار للكتلة الغربية في العالم الإسلامي ونرى بعض رجالاتنا مع الأسف الشديد يقومون لهم بدور السماسرة كذلك !

إن أسبانيا في هذه الأيام تخطب ود العالم الإسلامي . وهي

كلمـــات

للاستاذ علي الطنطاوي

٥ — مشكلة وجيه

سيدي الوجيه الكبير

قرأت كتابك الذي أرسلته إلي ، وفهمت قصتك الطويلة ، أما رأيي الذي تقسم علي بأن أعلنه بصراحة ، وأن أنشره في ذات الوقت تسوى حسابها مع أمريكا !

ربما يقول بعضهم : ألا ترى ؟ أليس هذا دليلا على أن قيام الكتلة الإسلامية هو من وحي السياسة الاستعمارية ؟

إنه حق يراد به باطل ! يجب أن نفرق بين البواعث الطبيعية لقيام الكتلة الإسلامية ، وبين محاولة الاستعمار أن يستغل هذه الحركة الطبيعية

إن قيام الكتلة الإسلامية اليوم ، على أساس النظام الاجتماعي الإسلامي ، وعلى أساس تحكيم الشريعة الإسلامية في الحياة . . هو حركة طبيعية لابد منها كما أسلفنا . . أما محاولة الاستعمار أن يستغل لحسابه هذه الكتلة الناشئة فهي محاولة مصطنعة يمكن القضاء عليها

وإذن فلندع لقيام الكتلة الاسلامية ، على أساس النظام الاجتماعي الاسلامي ، لا على أساس اتفاقات دبلوماسية بين بعض السياسيين — على طريقة جامعة الدول العربية ! — ولكن علينا أن ننشر حركة وعي إسلامي حقيقي بين الشعوب . وهذا هو الضمان لاستقلال هذه الكتلة عن الاستعمار ، وقيامها على أساس مكافحة الاستعمار

وحين يقوم العالم الاسلامي على أساس النظام الاجتماعي الاسلامي ؛ فإنه سيكون في حصانة من الشيوعية ، بل سيكون يده تحطيم الكتلة الشيوعية ، والنظام الشيوعي . .

هذه حقيقة واضحة نحب أن ننفض عنها الغبار ، ونعرضها ناصعة للأنظار والأفكار . . .

سيد قطب

فإني أخاف أن تغضب إذا أبديته لك ، أو أن يلومني على إبدائه القراء

لأن رأيي فيك يا سيدي المحترم أنك — أحمق كبير ، ولا مؤاخذة ، وأنك لا تصلح أبا لهذه البنت العاقلة ، وأنك مع الأسف صورة لأكثر الآباء ، لا تختلف عنهم إلا كاختلاف نسخ القصة المطبوعة بعضها عن بعض . فهمت من كتابك أن الخاطب الذي رغبت فيه ابنتك عالم فقير ، لا يملك إلا شرفه وخلقه وعزة نفسه ، والمال الذي يأخذه بكد يمينه ، وعرق جبينه

وأن الخاطب الشاب الجميل الغني الدلال وحيد أبويه ، اسم الله عليه ، الذي يملك وزنه ذهباً ، لم تقبل به البنت لأنه ليس بصاحب علم ، ولا بذي مهنة ، وأنها أبت من تريد ، وأبيت من أرادت ، فبقيت بلا زواج

وأنك حائر في هذه المشكلة لا تدري ماذا تصنع ؟

ومشكلتك هذه يا سيدي مشكلة البلد كله

مشكلة سببها أنتم أيها الآباء ، الذين يحسبون البنت سلعة فهم يريدون أن يبيعوها ، لمن يدفع فيها الثمن الأكبر ، ويظنون الزواج صفقة تجارية ، فهم يتمنون أن يخرجوا منها بالربح الأوفى

أنتم سلبتم الزواج معناه الإنساني العاطفي ، وجعلتموه معاملة مالية ، يبحث فيها عن المهر والجهاز ، والحفلات والولائم ، قبل أن يبحث عن التوافق والحب ، والسعادة الزوجية

أنتم وضعتم الأشواك في طريق الشباب الذين يريدون بناء البيت ، وإنشاء الأسرة ، وإرضاء الله والخلق ، وأقفلتم في وجوههم أبوابكم ، ففتحتم لهم بذلك باب الفجور والفساد ، وعبدتم لهم طريق البغاء والمرض والإفلاس

أنتم الذين يضحون بصحة بناتهم ، وبأخلاقهن وبسعادتهن في سبيل التفاخر والتكاثر ، والعظمة الفارغة ، ويضحون بعد ذلك بمصلحة هذا الوطن ! أنتم المسئولون عن مشكلة البغاء الكبرى أنت وأمثالك من الآباء ! وتسألني بعد ذلك رأيي ؟

رأيي أنك مجرم كبير — يا سيدي الوجيه الكبير !

٦ — يئزول

قرأت أن أمير إحـــدى الممالك العربية صار

أفهى رجل فى العالم ، وأن البترول الذى ظهر فى أرضه ... سيأتيه كل سنة بـ ... بمبالغ نسيت والله مقداره من ضخامته ...

قرأت هذا الخبر فكدت من العجب أفقد عقلى

أيأخذ شيخ هذه العمية وحده ثمن البترول ، ويتصرف فيه على هواه ولا يقول له أحد . ماذا صنعت ؟

ومن أعطاه هذا البترول ؟ ومن كتب له به سند التمليك ؟

فى أى عصر نعيش أيها الناس ؟

إنه بترول هذه الأرض التى أكلت أجساد أجدادنا ، وشربت دماءهم : أرض العرب. فهل ترونها ادخرته فى بطنها ثلاثة ملايين سنة حتى يأتى فى آخر الزمان الشيخ الفلانى فيأخذه وحده ملكا خالصاً له ، ليعطيه لأميركا أو لإنكلترا ؟

إنى لأسأل مرة ثانية : فى أى عصر نعيش ؟

وأين هى ديمقراطيـــة أميركا وإنكلترا ؟ أمن شرع الديمقراطية إن نبع البترول فى صحارى كاليفورنيا أن يكون ملكا لترومان ، ينعم بثمنه هو وأولاده وعبيده (إن كان له عبيد) ويسخر اشهوانهم ولذاذاتهم ، ويترك الشعب فى بلائه وشقائه ؟

الديمقراطية كلمة يونانية الأصل ، جاءت من (ديموس) أى الشعب ، وكل شئ فى الديمقراطية للشعب ، وخيرات الوطن وبترول الأرض لأصحاب الأرض.

فلماذا لا يكون بترول أرض العرب للعرب ، يسخر لمصالحهم ويشترى به لهم المجد والقوة ، والحضارة والعلاء ؟ لماذا لا تصير به أرض العرب جنات فيها من كل الثمرات ، وفيها المدن والمصـــانع والقلاع والمدارس ، وفيها الطرق والجسور وكل ما أنتجت المدنية وأثمر العمران ؟ أليس ملك الشعب ؟

انى لأسأل ، فهل من مجيب ؟!

٧ — الزوجة الثانية

قابلت أمس صديقاً لى فوجدته ضيق الصدر ، لفس النفس، كأن به علة فى جسده ، أو هما فى قلبه ، فسألته أن يكشف لى أمره فتأبى ساعة وتردد ، ثم قال لى : أنت الصديق لا يكتم عنه ، وإنى مطلعك على سرى ، ومستشيرك فيه : إنى أريد الزواج

— قلت : وما فعلت ربة دارك ، وأم أولادك ؟

— قال : هى على حالها .

— قلت . وهـل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها ، أو من طاعتها لك ، وميلها إليك ؟

— قال : لا والله !

— قلت : فلم إذن ؟

— قال : إنى رجـل أحب العصمـة وأكره الفجور ، وقد ألفت زوجتى حتى ما أجد فيها ما يقلع نفسى عن أن تميل إلى غيرها، وبصرى عن أن يشرد إلى سواها ، وأطلت عشرتها حتى ملتها وذهبت فى عينى فتنتها

قلت : ما أقبح والله ما جزيتها به عن صحبتها وإخلاصها ! وما أعجب أمرك تسمع صوت النفس، وأنت تظنه صوت العقل ، وتتبع طريق الهوى ، وأنت تحسبه سبيـل الصلاح ، وهذا من تلبيس إبليس ، ومن وساوسه !

وهل تحسب أن المرأة الجديدة تقنعك وتغنيك ، إن أنت لم تقهر نفسك وتزجرها ؟ إن الجديدة تمر عليها الأيام فتصير قديمة ، وتطول ألفتها فتصير مملولة ، وتستقرى جمالهـا فلا تجـد فيها جمالا فتطلب ثالثة ، والثالثة تجر إلى الرابعة ، ولو أنك تزوجت مئة، ولو أنك قضيت العمر فى زواج ، لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى ...

وهذى سير الملوك الذين كانت تحمل إليهم كل جيلة من كل بلد ، وكان فى قصورهم آلاف الجوارى من كل بيضاء ، وسمراء وسوداء ، وعربية ، وتركية ، وكرجية ، وأفرنجية ، من كل سن وكل لون ، وكل جنس وكل شكل ، فهل أشبع ذلك هوى نفوسهم ؟ وهل عصمتهم من أن يتطلع أحدهم إلى المرأة المعلمة فيشتهيها أو يهم حبا بها ، ولا يرى لذته إلا بقربها ؟

وهل الزواج ويحك لهذا (الأمر) وحده ؟ فأين الوفاء ؟ وأين التذمم ؟ وأين حقوق المعاشرة ؟ وأين روابط الولد ؟ وهل تقوم الحياة على الحب وحده ؟

هل يمضي زوج عمره في تقبيل وعناق ؟ إن لذلك لحظات وباقي العمر تعاون على الحياة ، وتبادل في الرأي ، وسعي للطعام واللباس وتربية الولد ، واسترجاع الماضي والإعداد للمستقبل :

وهل تظنك تسعد بين زوجتين ، وتعرف إن جمعتهما ما طعم الراحة ؟ وهل تحسب أن ولدك يبقى معك وقد عادت أمه ، وصادقت غريبة جئت بها تشاركها دارها ومالها وزوجها ؟ فهل يرضيك أن تثير في أسرتك حرباً تكون أنت أول ضحاياها ؟

لا يا صاحبي ، لقد تغير الزمان ، وتبدل عرف الناس ، فعليك بزوجك . عد إليها وانظر إلى إخلاصها ، لا تنظر إلى وجهها ولا إلى جسمها ، فإني قرأت كتباً في تعريف الجمال كثيرة ، فلم أجد أصدق من تعريف طاغور : « أن الجمال هو الإخلاص » ولو أن (ملكة الجمال) خانتك وغدرت بك لرأيتها قبيحة في عينك . ولو أخلصت لك زنجية سوداء ، كأن وجهها هذاء الشهرة الناصع لرأيتها ملكة الجمال ...

وثق أن ما حدثتني به سيبقى سرا بيننا لا أفشيه أبداً ، ولا أطلع عليه أحداً !!

وهل سمعت أن أديبا (أفشى) سرا ؟!

٨ — نعم . لقد هزمنا !

إلى الأستاذ الذي كتب إلي فلم أعرف اسمه ولكن نم أسلوبه على فضله :

نعم . لقد هزمنا في فلسطين ، ولكنها لم تهزم فينا إلا الأخلاق التي قبسناها من غيرنا ، وتركنا لها أخلاقنا . ما هزم إلا التردد والاختلاف ، والثرثرة والكلام الفارغ ، وإيثار الزعماء مصالحهم على مصالح الأمة ، واتخاذ الإنكليز والأميركان أولياء ، أما سلائق العروبة ، أما خلائق الإسلام ، أما الإرث الذي تركه محمد في عروقنا ، معشر العرب ، وصبه في دمائنا ، فلم يهزم ولن يهزم أبداً

إن لكل أمة أياما لها ، وأياما عليها ، وليس العار أن يغلب الوطني ، ولكن العار أن يجزع من الغلب ويرضاه ، ولا يعاود الكفاح ، ولقد مر علينا في تاريخنا مصائب أشد هولا ، لقد قامت في هذه البقعة من فلسطين دولة أقوى من هذه الدولة الكسيحة ، دولة زحفت أوربا كلها لتقيمها وتحميها ، فعاشت أكثر من مئة سنة فأين هي اليوم ؟

هدمها رجل واحد اسمه صلاح الدين ، فذهبت حتى أن أكثر القراء لم يكن يدري بها ، قبل أن يسمع مني الآن خبرها

فلا تجزعوا كثيراً من ضياع فلسطين ، بل اجزعوا من المصيبة التي هي أكبر من ضياع فلسطين ، ومن ضياع بلاد العروبة كلها ، لا أذن الله — أتدرون ما هي ؟ هي أن تخسروا إيمانكم بأنفسكم وماضيكم ، وأن تفقدوا كبرياءكم ، وتنسوا عزتكم ، وتجهلوا مكانكم في هذه الدنيا

تلك هي المصيبة حقا ، ولن تكون أبداً ، وإن داخل الضعف نفوساً قد اكتهلت وشاخت في ظلام الماضي القريب فسيكون من هؤلاء الأطفال ، شعب نشأ في نور الاستقلال ، وستلهب دمه ذكريات عشرة آلاف معركة مظفرة ، خاضها الجدود ، وسيخرق صماخ أذنيه نداء عشرة آلاف بطل ، أنجبهم الجدود ، وستدفعه إلى ميادين التضحية والبذل ، حتى يطهر أرض الوطن من إسرائيل ، ويغسل بالدم هذه الصفحة التي كتبها في تاريخنا التردد والتخاذل والانقسام ، وحتى يعيد مجد الماضي فيقرأ الطلاب في المدارس بعد حين ، خبر هذه الدولة التي قامت يوما في فلسطين باسم دولة إسرائيل ، كما نقرأ نحن اليوم خبر الدولة التي أقامها من قبل جموع الصليبيين

ومن شك في هذا لم يكن عربيا ولم يكن مسلما

٩ — آلآن يا بنت

آلآن يا بنت ؟! آلآن ؟! بعد ما سفح الماء ، واحترق العود ، تكتبين إلي بدم القلب ، ودمع العين تقولين : تعالوا يا عقلاء ، ويا مصلحون ، خبروني ماذا أصنع ؟ وهل يقدر أحد أن يرد الماء الذي انداق ، والعود الذي احترق ، والعشاء الذي انحرق ؟

وهل رجعت ليلة عذرتها ، بعدما فقدتها ، حتى تعودي

عذراء كما كنت ؟ فلا تطالبي المحال فإن الميت لا يعود ...

وإنه قد بطل الخيار ، ولم يبق إلا طريق واحد ، فانسى كل ما ذكرت لي من شرف أسرتك وهوان عائلته ، وغنى آله وفقر أهله ، وتوسلي إليه أن يتزوج بك ، فلعله قد بقي في قلبه شيء من شرف الرجل ؛ أو عاطفة الإنسان فيصلح ما أفسد

أما أهلك فإن الأيام ستروضهم على الرضا بالواقع ، فيندمل مع الزمان الجرح ، وتذهب القطيعة ، ويطول بهم الفكر ، فيعلموا أنهم هم المذنبون ، وأنهم هم الذين ساقوك إلى دكان الجزار ، وألقوا بك بين أنياب الذئاب ، عزلاء لا مخلب لك ولا ناب ، ولو أنهم نشؤوك على عادات العروبة ، وآداب الإسلام ، لما كان الذي كان .

واعلمي يابنتي أن قصتك مع هذا الشاب ، زميلك في المدرسة ، قصة كل بنت حواء مع كل ابن آدم ، يميل إليها ، وتميل إليه ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) لكنه يريد منها غير ما تريد منه ، إنها (وهي التي تحمل وتلد) تريد أن يكون لها أبدا وحدها ، كما تكون له أبدا وحده ، تريد حبا باقيا لأن آثاره باقية فيها ، تنتقل من الرغبة إلى الأمومة ، وهو يريد أن يقطف الزهرة ويجني الثمرة ، ثم يوليها ظهره ، يبحث عن زهرة أبهى لونا ، وثمرة أشهى طعما ، فالحب عندها استمراق ودوام ، وهو عنده لذة ساعة ، ومتعة نهار ، ثم إنها إذا أخطأ معاء فقر المجتمع له خطيئته ، ولم يغفر لها خطيئتها أبدا

من هنا جاءت شكوى النساء من خيانة الرجال ، ومن هنا حرم الله ، ومنع الشرف اقتراب الرجل من المرأة ، إلا بعد أن تقيده بقيد الزواج ، لئلا يتبع فطرته وهواه ، فيقضي أربه ويهرب — إن هذه القيود إنما كانت لمصلحة المرأة ، ولكن من النساء من يحاول الخروج عليها ، والتخلص منها ، أفليس هذا عجيبا ؟

على أنك لو لم تشجعيه لما أقدم ، ولو لم تضعفي عنه لما قوي ، ولو تصونت عنه بالحجاب ، وتمنعت منه بالخلق ، ولو أن كل بنت كانت تحمل عقلها دائما في رأسها ، لانتفاء في قصة غرام ولا ديوان غزل ، ولا على مقاعد السينما ، وكرامتها بين عينيها ، وتعرف كيف ترد عنها كل شيطان إنسي يبتغي العدوان عليها بالكلام إن كان ممن يفهم بالكلام ، وبكعب الحذاء تخلعه وتنزل به على رأسه ، إن كان سفيها خبيثا قليل الحياء ، لما طمعت بعفافها فتاة . فالأمر في أيديكن يابنات ، وإن أنسى الرجال وأجرأهم على الشر ، يخنس ويبلس ويتوارى ، إن رأى أمامه فتاة مرفوعة الهامة ، ثابتة النظر ، تمشي إلى غايتها بجد وقوة ، وحزم ، لا تلتفت تلفت الخائفة ، ولا تضطرب اضطراب الخجول ، ولا تميس ميسان من يقول : هأنذا فمن يريدني ؟

وبعد يابنتي فلا تيأسي ، فما في الذنوب ذنب غير الشرك يضيق عنه عفو الله ، ولا في الوجود مذنب يرد عن بابه إن جاءه تائبا نادما منيبا ، وإن في عفو الله متسعا لجميع المساة (قل: ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

علي الطنطاوي

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والبلاغة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القومي

تدور على ألسنتنا في هذه الأيام بضعة ألفاظ أساسية نعبر بها عن عقائدنا الفكرية ومناهجنا العملية، وعما نطمح إلى بلوغه من غايات وأهداف. من هذه الألفاظ: القومية، والديمقراطية، والاتحاد، والتقدمية، والاشتراكية، وأمثالها. ولما كانت المعاني التي نسبغها على هذه الألفاظ لها خطورتها الكبرى فيما نصوغ من فكر وما نبني من منشآت، وجب علينا أن نوضح لأنفسنا حقيقتها، ونستخرج مضمناتها، كي نسير على هدى، ونشيد على أساس صحيح. ولعلنا إذا تبينا الجوهر، وكشفنا عن الأصل، لا نضيع ما نضيعه الآن من جهد ووقت في مناقشة الأعراض والبحث عن الفروع

ولا جدال في أن هذه المهمة الإيضاحية تقع أولا على عاتق رجال الفكر، فهم المسؤولون في الدرجة الأولى — إزاء مجتمعهم وإزاء التاريخ — عن تحديد المعاني، ورسم الأهداف، وتخطيط السبل. وإليهم يتطلع المجتمع لقيادته في الكشف عن الأسس، وتمييز الأصول من الفروع، ووضع الأهم قبل المهم، والمهم الباقي قبل الفاني الزائل

وليس حديثي هذا سوى محاولة لإيضاح معنى لفظ من هذه الألفاظ الأساسية التي نرددها ومشتقاته المختلفة. فكثيراً ما نتحدث عن التقدم، والتقدمية، والمجتمع التقدمي، ونقسم شيئاً تبعاً لما نفهمه منها. ولقد كان حرياً بنا أن نقف بين آن وآخر لنتبين حقيقة ما نقصد إليه، ونتفق على ما نعني، توفيراً للجهد، وتوضيحاً لجوهر الخلاف — إذا كان ثمة خلاف — وانتهاجاً للأسلوب العلمي المنظم في المناقشة الفكرية والسلوك العملي

فما هو المجتمع التقدمي، وما هي الصفات الأساسية التي تنطوي عليها تقدميته؟

المجتمع التقدمي هو، أولا، مجتمع متحرك متطور، وإذا أردنا استعمال لفظة غريبة قلنا: «ديناميكي». وليس من الصعب علينا أن نفرق بين مجتمع يتصف بهذه الصفات وآخر يغلب عليه الركود والجمود. فالمجتمع المتحرك الديناميكي يتميز بالقوة والتغير. أما قوته فبإنتاجه المادي والعقلي: إنتاجه فيما يستثمر من موارد الطبيعة، ويستغل من كنوزها، وما يبني من منشآت، وينظم من علاقات، وما يصاحب ذلك كله من نظر عقلي وبحث علمي. وتركيز المفاهيم. وتجميع للحقائق. وأما تغيره فبتطور منتجاته المادية، وأحواله المعاشية، وأخلاقه، وعاداته، وسبله في الحياة عموماً. وعلى العكس من هذا كله المجتمع الراكد «الستاتيكي» فهو، من ناحية، ضعيف بإنتاجه المادي والعقلي، ومن ناحية أخرى ساكن واقف لا تتغير أحواله ونظمه إلا قليلا على مر السنين

ولا حاجة بنا إلى القول أن الحركة في المجتمعات المتحركة، والركود في المجتمعات الراكدة، ليسا صفتين مطلقتين، وإنما الاختلاف بينهما اختلاف نسبي يتوقف على أحوال هذه المجتمعات وعلى قوة العوامل المؤدية إلى الحركة والركود أو ضعفها. كذلك هاتان الصفتان ثابتتين لرجوعهما — كما يعتقد البعض — إلى الجنس الذي يتكون منه المجتمع، والذي إن تغير أو تبدل فإلى حد أدنى بكثير من التغير أو التبدل الراجع إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية. إن الأبحاث الحديثة، واختبارات الإنسانية، قد أثبتت فساد التعليل الجنسي المطلق، وأقرت للعوامل الاقتصادية والاجتماعية بالأثر المستقبل الراجح. فلكم من مجتمع كان راكداً في بعض مراحل حياته ثم انتفض وتحرك، على ثبات في تكوينه الجنسي وإرثه العرقي. ولا ينكر أن للعرق أثره، ولكن هذا هذا الأثر ليس مطلقاً، ولا — بعرفنا — راجحا، وإنما الراجح في تطور المجتمعات هو العوامل الاجتماعية المتشابكة الناتجة من علاقة المجتمع بمحيطه وعلاقة عناصره بعضها ببعض

وتبعاً لهذا نقول إن مرد الحركة «الديناميسم» في مجتمع ما إلى مقدرته على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجي، وعلى تفاعله الداخلي في نفسه. والمحيط الخارجي ذو وجهين: محيط

طبيعي مادي ، وآخر بشري اجتماعي . والحركة والحياة تنشآن عندما يكون المحيط الطبيعي على درجة متوسطة بين اللين والشدة، بحيث تستدعي شدته نشاط المجتمع ، ويسر لينه ، في الوقت ذاته ، لهذا النشاط أن يزدهر ويثمر . فإذا كان المحيط الطبيعي ليناً كل اللين ، واستطاع الإنسان فيه أن يرضي شهواته البدائية بأيسر السبل ، لم يكن هناك داع للهمة والنشاط ولتوليد الحركة وبث الحياة . وكذلك ، إذا كان المحيط في الطرف الآخر من حيث القسوة والشدة تغلب على مقدرة الإنسان ، في المراحل الأولى من تطوره ، وشل حركته ، ومنع تقدمه . وهذا ما نرى واضحا كل الوضوح في المناطق القاسية المناخ ، حرارة أو برودة أو رطوبة أو جفافاً ، أو التي يغلب عليها الجليد أو الأدغال أو الصحراء أو أمثالها

إن هذه الظروف الطبيعية مؤثرة ، كما قلنا ، تأثيراً حاسما في المراحل الأولى من نشوء المجتمعات ونموها وهي التي ، في الأغلب ، تبعث في مجتمع ما الحركة والخصب والتقدم ، وتقضي على آخر بالركود والجدب والجمود ، إذ تستنفد جهوده كلها في اقتناص عيشه الضئيل وتحصره في دائرة ضيقة يصعب عليه اجتيازها . أما المجتمع الذي تتيسر له أسباب الحركة والنمو ، ويقطع في هذه الطريق شوطاً مديداً ، فإنه يصبح قادراً على التغلب على المحيط الخارجي مهما اشتد وقسا : وها نحن نراه يستخرج المعادن من بطن الصحراء ، ويستغل الأدغال ، ويوطد مراكزه في المناطق المتجمدة ، ويركب متون البحور والأجواء

وشل المحيط الطبيعي المحيط البشري . فإذا كان هذا المحيط هيناً ليناً لا يكمن فيه أي خطر استهان أهل المجتمع عيشهم ، وانصرفوا إلى ملذاتهم ، وساروا إلى الركود فالانحلال . وإذا كان العكس من ذلك خطرا كله وتغلب على المجتمع بشكل حكم أجنبي استثماري أو استعمار مستغل منظم ، شلت حركة المجتمع وكبتت حيويته . وتاريخ البشرية في الشرق والغرب ملء بالأدلة الواضحة على ما نقول ، فلا نحتاج إلى إيراد أدلة مفصلة ، وإنما يكفينا أن نشير إلى ما تعرضت له بلادنا العربية في الستمائة السنة الأخيرة من غزوات خارجية جائحة وضروب في الحكم الأجنبي المستأثر امتصت حيوية أرضها وسكانها ، وجعلتها تركد وتعجز عن الإنتاج بأي شكل من الأشكال . أما الحالة المؤدية إلى الحركة والنمو فهي وجود الخطر — الخطر الذي لم يقض على المجتمع — وإحساس المجتمع به ، وما يتبع هذا الإحساس من بعث للهمم ، وإثارة للنشاط ، وتعبئة للجهود

ولا تقتصر حيوية المجتمع المتحرك على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجي : الطبيعي والبشري ، بل تتمثل أيضا في تفاعله الداخلي : بين أفراده ، ومنظماته ، وطبقاته . فالعلاقات البشرية في المجتمع الراكد علاقات بسيطة ، قليلة التغير . أما في المجتمع المتحرك ، فهي تزداد على الأيام تطورا وتعقدا . والحيوية المنصرفة إلى الخارج لا تلبث أن تضعف وتنحل إذا لم تصحبها حيوية في الداخل تؤدي إلى نمو في شتى دوائر المجتمع : في العائلة ، والمدرسة ، والدولة ، وسواها . بل نقول إن التفاعل والنمو في داخل المجتمع هما أصدق دليل على مقدرته على مجابهة المحيط والصمود في وجه قوى الخارج

وخلاصة القول أن المجتمع المتحرك الديناميكي هو مجتمع متطور ، متفاعل مع محيطه الطبيعي والبشري ، ومتفاعل في ذاته داخليا

ولكن ليست كل حركة تقدماً ، ولا كل تطور نموا وارتقاء . فما هو السبيل إلى ضمان هذه الأهداف المنشودة ؟ وإذا أردنا نحن في البلاد العربية أن ندفع بمجتمعنا العربي إلى الأمام فكيف نأمن أن يكون انبعاثه من ركوده ، وتحركه من جموده ، مؤديين فعلا إلى نمو وتقدم ، وغير مقتصرين على مجرد الحركة والتغير ؟ وبكلمة أخرى ، ما هي المقاييس التي يقاس بها تقدم مجتمع على آخر ، أو درجة التقدم أو التأخر في نفس المجتمع ؟

توضيحا لتفكيرنا في الموضوع الأساسي أتقدم ببضعة مقاييس عامة ، لا بصفة نهائية حاسمة ، بل بصفة تمهيدية تجريبية ، لعلها تكون أساسا صالحاً للبحث ، وخطوطاً عامة نسترشد بها في هذا الميدان الواسع المتشعب

أول هذه المقاييس ، في نظري ، هو مبلغ سيطرة المجتمع على الطبيعة وقدرته على ضبط قواها واستغلال مواردها . فالمجتمع الذي تحده قوة الطبيعة أو تتغلب عليه يكون عبداً لها خاضعاً لسلطانها ، ويظل متأخرا عن سواه من المجتمعات التي

سهقته في هذا المضمار . وتأخره عنها يكون في ناحيتين أساسيتين: الأولى سلبية والثانية إيجابية . أما في الناحية السلبية فيبقى عرضة لأحداث الطبيعة وفعل عناصرها المادية والحية ، يتحكم فيه نوع الأرض وشكلها وموقعها ، ودوران الفصول ، وتقلبات المناخ ، وتتسرب إليه الجراثيم الفتاكة ، والأعراض الفتاكة . فهو ، من هذا القبيل ، مغلوب على أمره ، مستعبد لمحيطه الخارجي . ثم هو محدود من الناحية الإيجابية أيضا لعجزه عن استدرار غنى الطبيعة ، واستخدامه لتحسين معاشه وترقية حياته ماديا وأدبيا . وما دام ضئيل الإنتاج ، مهدداً بالفقر والمرض ، فهو حتما متأخر عن سواه ، وغير مجهز للسير في ميادين التقدم والرقي

والمدنية الحديثة إنما تمتاز عن المدنيات السابقة في هذا المضمار ، ولا حاجة بي هنا إلى التفصيل والإيضاح ، فالأمر ظاهر بين دون دليل أو برهان . وإنما يجدر بنا أن نلاحظ أن المدنية الحديثة هي ، من هذه الجهة ، وحدة غير متجزئة . ولا يغرنا اختلافها في نواحي أخرى ، فهي في هذه الناحية متفقة كل الاتفاق . لننظر إلى القوتين الجبارتين اللتين تتنازعان العالم اليوم : القوة الغربية التي تتزعمها أميركا ، والقوة الشرقية التي تقودها روسيا ، نجد أنهما كتلتان قائمتان على الحرص الشديد والقدرة الجبارة على استثمار الطبيعة واستغلال مواردها . في كل منهما ، في الولايات المتحدة وروسيا على السواء ، وفي الدول الأخرى بدرجات متفاوتة ، اهتمام بالآلة ، وانكباب على التكنيك ، وحرص على الاقتصاد . وما الآلة والتكنيك والاقتصاد سوى الوسائل التي يتسلح بها الإنسان لضبط الطبيعة وعلاقته بها ، وما ينتج عن ذلك من علاقات اجتماعية

وهذا الانكباب على الوسائل الإنتاجية هو سر الحركة (الديناميسم) ومصدر القوة المادية والعقلية في المجتمع الحديث على اختلاف ألوانه واتجاهاته . وهو الواجب الأول الملقى على عاتقنا نحن العرب اليوم ، لأننا لا نستطيع أن نحمي كياننا إلا عن سبيله . فالعالم أصبح يضيق بغني غير مستثمر ، وموارد غير مستغلة . والدول تكاد تسير في معاملاتها على أن المجتمع الذي لا يستثمر موارده يخسر حقه فيها . ولئن كان القانون الدولي لا يقر هذا المبدأ ، بل بالعكس يصرح بسيادة الأمة على أراضيها وإرثها الطبيعي ، ولئن كانت شرعة الأمم المتحدة قائمة على مساواة الدول في هذه السيادة ، فالواقع أن الدوافع المسيرة للدول في تصرفاتها هي غير ذلك . ولا ننكران أن الصهيونية بنت جانباً هاما من حجتها لقضيتها في فلسطين على تفوقها على العرب في استغلال الأرض واستخدام وسائل الإنتاج الحديث . وكان دعاتها يجوبون أطراف العالم مرددين هذه الدعوة ويستقدمون الوفود والبعثات ليطلعوهم على سبقهم للعرب في هذا المضمار . وكان نجاحهم في هذا ، على مخالفته لأبسط قواعد الحقوق الدولية مقنعاً لكثير من الناس وموجهاً للرأي العام العالمي في مصلحتهم. وليس هذا الواقع فعالا في مثل هذا العدوان الفاضح فحسب ، بل هو مؤثر أيضا في التدخلات الأخرى الأكثر خفاء ، التي تدفعها قوى لا ترد ، من منطق المدنية الحديثة ذاته ، لاستغلال البوار ، وإحياء الموات ، أينما كان ولمن كان

فاستثمارنا لمواردنا هو إذن داعم لحقنا فيها وإهمالنا لها هو بالعكس ، وسواء أشئنا أم أبينا منقص لهذا الحق في مفهوم العالم الحديث . ثم إننا بهذا الاستثمار نهيئ لأنفسنا من الناحية الإيجابية وسائل الدفاع عن كياننا في الميادين الحربية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، ولا شك في أن سبق الصهيونية لنا قرونا في هذا المضمار هو الذي يسر لها سبل عدوانها علينا واستجرار القوى السياسية والاقتصادية الكبرى إلى مساندتها في هذا العدوان

وعندما نتبين هذا الواقع ونقره نخرج منه إلى نتائج حتمية لا مفر لنا منها . خلاصتها أن نهضتنا القومية ، بما تتضمن من سياسة داخلية ودولية ومن تنظيم اقتصادي واجتماعي وتعليمي ، يجب أن تبنى أولا على هذه الأركان الثلاثة : آلة ، تكنيك ، اقتصاد ، إنشاء . فبها يتحرك مجتمعنا وتسري فيه الروح الديناميكية التي تيسر له الوسائل لحماية كيانه أولا ولتقدمه في النواحي الأخرى ثانياً

على أن هذه الوسائل الإنتاجية الاستثمارية لا تأتي عفواً ولا تهبط من علو . وإذا استمددناها من سوانا فهي لا تبقى لنا ولا تعمل في مصلحتنا إلا إذا اكتسبنا معها القوى الأصيلة التي ابتدعتها . والشعوب التي تقدمتنا في هذا المضمار لم تنلها إلا بعد

أن حققت شرطها الأساسي وباعثها الأصلي : وهو التحري عن الحقيقة والأسلوب العلمي المنضبط الضابط والنتائج العلمية المحققة المتراكمة . هو العقل الناشئ المنتظم في نفسه المنظم لسواه

ولا جدال في أن العقل الإنساني هو من أعظم القوى التقدمية في الوجود ، فهو ما ينفك يبحث عن المجهول ويقتحمه باقتحامه . وما اقتحام الرائد المناطق المعزولة الصعبة بأيسر من اقتحام العالم المجهول من أسرار الطبيعة والإنسان ، وما نجاحه فيها أعظم ، أو السرور الذي يبعثه في نفسه أشد . بل العالم هو في جوهره وكيانه رائد ممتاز لا يحقق وظيفته ولا تسعد نفسه إلا بالمغامرة والتقدم

ثم إن العقل المتمثل في جهد العالم الرائد ملح مستمر في تقدمه . فإن لم يطلع عليه ما يطفئ جذوته أو يبطل عمله سار من خطوة إلى خطوة وقبض على حلقة بعد حلقة من سلسلة الحقيقة المترابطة . وهو لا يقف عند حد ولا يرضى بحال ، بل يندفع دوما إلى الأمام منقبا باحثا مكتشفا . هذا هو منطقه وكيانه وهو فيه منسجم مع منطق الحقيقة وكيانها

ثم هو بعد هذا وذاك منتظم في تقدمه . فالخطى التي يقطعها متصلة بالحلقات التي يقبض عليها متماسكة . ذلك أن جوهر الحقيقة التي يسعى إليها ويتقيد بها ويخدمها جوهر متماسك متحد . وليس معنى هذا أن العالم لا يخطئ ولا يخرج عن السبيل السوي ، فكثيرا ما ضل وابتعد وضاع وضيع ، ولكن الأسلوب العلمي المنبعث عن طبيعة العقل وجوهره كفيل برده إلى الصواب. والعبرة ليست في تلك الضلالات العرضية ، بل في السير الأساسي المتصل والسلسلة المترابطة الحلقات . إن بناء العلم بناء متماسك الأحجار ، وإذا اتفق أن وضع حجر فاسد فيه فالجهد العلمي خليق بأن يكتشفه يوما فيطرحه وكل ما بني عليه

فالعلم ، بجوهره الخالص وتقليده الإيجابي الأصيل ، تقدمي . وتقدميته تتميز بالتطلع والاستمرار والانتظام . ولذا كان مقياسا من أهم المقاييس التي تقدر بها تقدمية مجتمع من المجتمعات . وهو من الناحية العملية التطبيقية ، أساس القياس الأول : أي قدرة المجتمع على الطبيعة ، لأنه ، كما ذكرنا ، الباعث الأقوى للعمل الانتاجي الاستثماري . على أن له أيضا ناحيته النظرية التي يتجلى فيها مقدار الحقيقة المكتسبة والمجهول المكتشف . فإذا أردنا أن نقارن مجتمعين من حيث التقدم والتأخر ، أو نقيس تقدمية مجتمع ما ، أمكننا أن نركن إلى هذا المقياس : إلى درجة اكتساب المجتمع للأسلوب العلمي وخضوعه لسلطان العقل ، وإلى مقدار الحقيقة المتراكمة التي يملكها ويؤمن بها ويسير على هداها

وإذا أراد مجتمعنا العربي أن يكون تقدميا فعلا وجب عليه أن يتمسك بهذا العنصر التقدمي الحي ، ويؤمن به ، ويجعل سيره مظهرا صادقا له ، وحياته تجسدا لإيمانه به وبالحقيقة التي يؤدي إليها

ترى ، أيكفي هذان القياسان مقياس القدرة على الطبيعة ومقياس الاكتساب العلمي كيفية وكمية لقدر تقدمية المجتمعات ؟ إن النظر الدقيق يظهر أن هذين المقياسين لا يستنفدان التقدمية الصحيحة . ذلك أن استثمار الطبيعة هو ، في الواقع ، عامل مساعد أكثر منه عاملا أصيلا. فهو يهيئ الوسائل للتقدم ويدفع المجتمع في بعض النواحي ، لكنه لا يضمن التقدم ولا يدفع المجتمع قدما في جوهره وتمامه إلا إذا توفر له عامل آخر مستقل عنه . إنه يعد الأسباب ويهيئ القوى ويجهز النتائج لكنه ، بنفسه ، لا يقرر الغايات التي يجب أن توجه إليها الأسباب والقوى والنتائج ، إنه يضع بين يدي المجتمع موارد وافرة استخرجها من الطبيعة وثروات استمدها منها وقوى فجرها من بطونها ولكن ، ترى ، لأي شيء يستخدم المجتمع هذه كلها ؟ للبناء والتعمير أم للهدم والتدمير ؟ للتحكم والاستثمار أم لنشر العدل والمساواة ؟ للحرب أم للسلم ؟ للتقدم الشامل المتوازن أم للتقدم الجزئي المضطرب ؟

كذلك يقال عن العلم نفسه ، وهو المقياس الثاني الذي اتخذناه. إنه يكتشف الحقيقة والحقيقة وحدها غايته ومبتغاه . ولكن من الذي يستخدم هذه الحقيقة ولماذا ؟ هو ذا أمر خارج عن سلطته ، أو لعل العالم يساعد ، من وعى أو غير وعي ، في استخدام الحقيقة لأغراض هدامة فتؤدي إلى التأخر والهلاك في حين أنها وجدت لتخدم التقدم والانبعاث

فلضمان التقدم الصحيح لا يكفي توفير الوسائل ؛ بل يجب تحقيق الغايات الصحيحة التي توجه إليها . لا يكفي مجتمعنا أن

٢ ـ لغة المستقبل ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ذكرت لك أيها القارئ نبذة عاجلة عن الرياضة وفروعها السامقين وهما علم العدد وعلم الهندسة ، وفي هذا المقال نعرض للمنهج الرياضي وماله من أثر في نفوس الرياضيين بحيث يكسبهم هذا الذوق الذي يسميه العلماء الروح الرياضي

واملك يا قارئي تسأل : إذا كان العقل في كل ميادينه يعتمد على التحليل والتركيب — وكل في ذاته منهج مشروع — وإذا كان العقل يستعمل القياس والاستقراء ، وليس في غنية عن أحدهما أو كليهما ... ففيم تخصص للرياضة منهجاً ؟ .. وما هو هذا المنهج الذي به انفردت الرياضة ؟

ألا إن التجارب التي نقوم بها لا تعدو أن تكون إحدى اثنتين :

١ — تجربة خارجية أو مادية تبنى قراراتها على موضوعات مادية

٢ — تجربة داخلية أو ذهنية وهي التي قد تكون في الفكر عن طريق العالم الداخلي الذي توجد صوره في مخيلتنا ، وبمقتضاها نتمكن من تمثل الأعداد في نقط وأشكال

فهل نحن نتلمس بالحدس — في هذه الأعداد وتلك الأشكال — النسب المجردة أو المثالية التي هي قوام الحقائق الرياضية ؟ وهل تلك البداهة (١) هي المنهج الرياضي ؟

الحق أن دور البداهة في الهندسة غير منكر ، ولكنه في نظر « رابييه » Rabier ليس إلا عاملا مساعداً ، ومحقة في ذلك لما وجاهتها : فهو يرى أن البداهة تفلو في تقدير الحقيقة المراد إثباتها ، وإن كانت البداهة تلقي الضوء على طريق الاستدلال إلا أنه لا يستطيع أن يتخذ منها سنداً متيناً ، لأن الخطأ قد يتسرب منها إليه لإمكان تسرب الخطأ إليها

وعلى ذلك ، لا يمكن أن تعتمد العلوم الرياضية جمعاء على البداهة ، مادمنا قد افترضنا للفكر قيمة موضوعية ، وإلا كانت العلوم التي تعتمد على البداهة فنوناً ، وهنا تتوقف قيمة الفكر وموضوعه على « لحظات التجلي » حيث يكون العقل في حالة تصوف أو تأمل

والرياضة — من ناحية أخرى — ليست في منهجها — تجريبية — لأن الاستقرار — ولا سيما العلمي — لا يضمن لنا الحقيقة ثابتة ، كما أنها لن تكون قياسية ، لأن القياس يضع مقدمات يفترض صحتها ثم يستخرج منها نتائج على الوجه المسنون

لم يبق بعد ذلك إلا (البرهان Demonstration) ليكون هو المنهج الذي تنشده الرياضة ، ذلك لأن البرهان — كما يعرفه أرسطو — هو (قياس الضروري) وغايته : إقامة الحقائق الضرورية بأن يثبت أنها نتائج منطقية لغيرها من الحقائق

(١) البداهة أو الحدس مترادفان لكلمة : Intuition

يتغلب على الطبيعة ويضبطها ، بل عليه مع هذا ، إن لم نقل قبل هذا ، أن يضبط نفسه ويتغلب على أهوائه . لا يكفيه أن يتبين الحقيقة التي اكتشفها بالعقل ، بل عليه أن يولد الإرادة التي تمنع تشويهها أو استخدامها لما هو مناقض لطبيعتها ، وبالتالي هادم لأركان المجتمع

هنا تظهر العلة الأصيلة في المدنية الحديثة وداؤها الدفين . فلقد أحرزت هذه المدنية تقدما شاسعا واسعا في ميدان استثمار الطبيعة ، لكنها لا تزال مقصرة تقصيرا شائنا في معرفة الغايات التي يجب أن توجه إليها نتائج هذا الاستثمار وفي تكوين الارادة الصحيحة لهذا التوجيه . وقطعت كذلك أشواطا طويلة في اكتشاف الحقيقة ؛ لكنها لا تزال عاجزة عن الامتثال لها بل هي تمعن في تحويلها عن غايتها واستخدامها للشر والفساد

البقية في العدد القادم

فسطنطين زريق

الواضحة ، أو التي سبق البرهنة عليها — غير مهتم بالضروب والأشكال التي ينتهجها المنطق الصوري . لذا يقول أرسطو « ليس كل قياس برهاناً ، وإنما كل برهان قياس » كما أن البرهان — كما يقول لياز Liard « يقاوم قواعد القياس المنطق ، وفي الوقت نفسه له مبادئه التي لا يجدها في القياس ، وهذه المبادئ ضرورية ضرورة الحقائق التي يقيمها »(١)

والبرهان الرياضي لا يستغني عن التحليل والتركيب ، والتحليل قد يكون مباشراً ، وقد يكون غير مباشر

فالتحليل المباشر يستلزم معرفة بعناصر الموضوع ، والسير بالقضايا تدريجاً مما تم إتيانه إلى ما يراد إتيانه ، أما التحليل غير المباشر فهو البرهان بالخلف ، وهو ليس برهاناً بالمعنى الصحيح ، وإنما هو إحراج ، وفيه خطورة ، وقد نجح المنهج الرياضي في تلافيها . ونقصد بهذه الخطورة ذلك العناد الحقيقي في القضية الشرطية المنفصلة . فالزاوية س إما أن تكون حادة أو منفرجة أو قائمة ، فإذا لم تكن الأولى ولا الثانية كانت الثالثة حتماً ، اعتماداً على بدهية الثوابت . ومثل هذا البرهان لا يليق بالمنهج الرياضي المتفرد بهاتين الصفتين : العمومية والمعقولية ، وكم ينبغي العلم إذا ظفر بإحدى هاتين الحسنيين ، وقد اجتمعتا معاً للرياضة وحدها

لهذا ، احتدم الجدل حول هاتين الميزتين بين الفلسفة والرياضة . يرى فيثاغورس أن العالم أشبه بعالم الأعداد ، وأن العالم عدد ونغم ، وأن الأعداد نماذج تحاكيها الوجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها

وانحدرت هذه الأنظار الفيثاغورية إلى أفلاطون الذي ظل — بالجدل الصاعد — يرقى من المحسوس المتكثر إلى المعقول الواحد وهو (المثال) ، ومنه انتقلت هذه الأنظار إلى الأكاديمية الجديدة ، حتى اقتفى أحد رجالها سبيزيب — في ربط الرياضة بالفلسفة ؛ أي ربط الكائنات الرياضية وهي الأعداد والمثلثات بالصور إلى حد الخلط بينهما ، وفسر الوجود على ضوء هذه الكائنات الرياضية

واعتبر (باسكال) المنهج الهندسي المثل الأعلى للمناهج ، وعلى ذلك عالج الأمور الفلسفية العليا كما لو كانت مسائل هندسية أو معادلات جبرية

وأعطى (اسبينوزا) للفلسفة الأولى جفاف البراهين الهندسية وصورتها ، وأخذ يتحدث عن الله ، والحرية ، كما لو كان يتحدث عن أعداد

هؤلاء جميعاً إنما يطمحون بأنظارهم إلى العمومية والمعقولية حتى يصلا إلى الحق والخير معاً ، وهما هدف الرياضة البحت التي لا تتوسل بغير العقل إلى غايتها

وإذا كان المنهج الرياضي هو مجموع الوسائل والقواعد التي تمكن من بلوغ القوانين الرياضية الحقيقية الوثوق بهـــا ، فإن « الروح الرياضي » نوع من العقل يمكن من بلوغ الغاية ، وهما في الحق متلازمان أو هما وجهان لشيء واحد : هذا موضوعي وذاك شخصي . فإذا نظرنا إلى مجموع الوسائل العقلية بالنسبة إلى الموضوع المدروس فذلك « المنهج » أما بالنسبة إلى الشخص الدارس فهي « الروح »

يقول (فافر) « هنالك صفير يدهش العالم ، ويحفز الباحث إلى متابعة الحقيقة ، ولئن تعذر سماع هذا الصفير إلا أنه يباعد المرء عن الخطأ ، هذا الصفير هو الروح العلمي »(١)

ومن الناس من أوتي مواهب تجعله قادراً على متابعة الحقيقة ، وتجعله ماهراً ، وتمكنه من التزام الوضوح ، واجتناب غوائل الحق ، ومثل هذا الموهوب لديه روح علمي . فما مظاهر ذلك في الرياضة ؟

رسم أفلاطون في خياله مخاطيط المدينة الفاضلة ، وكان ينشد في « الجامع » شيئين هما : الجندية والفلسفة ، فأنطق سقراط بهذه الكلمات البارعة « إن لنا نشيداً عملياً غايته التعقل المنطقي ، ويقع في منطقة النفوذ العقلي ، وهو يجاهد لينظر نظراً قوياً في الحيوان والنجم ثم في الشمس ذاتها . وهكذا يبدأ المرء يبحث بالمنطق ناشداً كل أنواع اليقين بفعل الذهن البسيط مستقلاً عن أي معونة حسية ، ولا يكف حتى يدرك بفعل الذهن النقي طبيعة الخير الحقيقية ، وهنا يبلغ آخر مدى العالم العقلي »(٢)

(١) Logique

(١) l'esprit p.8

(٢) الجمهورية : ك ٧

فى أى فرع من فروع العلم تستقر قوة الحاكم المنشود ؟ بحث أفلاطون فلم يجدها فى الرياضة البدنية ولا فى الموسيقى ، وإنما وجدها فى « علم الحساب » الذى « كل علم وكل فن مفتقر إلى الاشتراك فيه » وبعد أن بين فائدته فى الحرب قال « إنه يلزم الفيلسوف فى درسه لأنه ملزم بأن يسمو فوق التغيير ، ويلوذ بالثابت وإلا فلا يكون مفكراً ذكيا » . . وذلك « لسهولة انتقال النفس من التغير إلى الحقيقى الثابت » ولأنه . . « قد يرفع النفس إلى فوق ، ويحملها على البحث فى الأعداد المجردة ! » . . « وإن الداكفين على الحساب — إلا النادر منهم — سريعو الخاطر فى كل العلوم ، وإن الذين فهموه بطيء إذا تثقفوا به وتمرنوا عليه ولم يحصلوا منه على فائدة أخرى يصيرون أسرع فهماً مما كانوا . . » ، « والهندسة علم الموجود الدائم يجب أن تجتذب النفس نحو الحقيقة ، وتضرب الصبغة الحاسمة فى ميدان الروح الفلسفى » . . .

« وإذن يجب أن نلقن تلاميذنا منذ الحداثة : الحساب والهندسة وكل فروع العلوم الابتدائية الممهدة لفن المنطق »

هذه أقباس من (جمهورية أفلاطون) حبذا لو عرضنا معها لوامع من (مقدمة ابن خلدون) ليرى القارئ إلى أى مدى من التخبط يتمرغ أولئك الأدعياء الذين لا يدرون من أين نبدأ حينما يستأثرون بالعلم الأدنى الذى هبط عليهم به وحى مزعوم

يقول ابن خلدون بحبذا تعليم الحساب « فإن فى صناعة الحساب نوع تصرف فى العدد يحتاج فيه الى استدلال فيبقى معقودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل »

ويعلل الابتداء بصناعة الحساب بأنها « معارف متضمنة وبراهين منتظمة فينشأ عنها فى الغالب عقل مضيء مدرب على الصواب ، وقد يقال : من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره ، إنما يغلب الصدق لما فى الحساب من صحة المبانى ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً »

ويقول من فائدة الهندسة ! إنها « تفيد صاحبها إضاءة فى عقله ، واستقامة فى فكره ، لأن براهينها كلها بينة الانتظام ، جلية الترتيب ، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها ، فيبعد الفكر من الخطأ وينشأ صاحبها عقل على هذا النهج (أى الطريق الواضح) ، وقيل إنه كان مكتوبا على باب أفلاطون « لا يدخلن مدرستنا من لم يكن مهندسا » وكان شيوخنا يقولون : « ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذى يغسل منه الأقذار ، وينقيه من الأوضار »

وابتدع أفلاطون (مقياس السجية النطقية) ليعرف به ما إذا كان يستطيع المرء أن يدرك الموضوع إدراكا إجماليا أولا يستطيع

إلى أى مدى نجح التفكير الإنسانى فى استخدام المنهج الرياضى فى ضروب العرفان ؟ وما مقدار استنباطه من الروح الرياضى فى ميادين الأعمال ؟ وماذا تحقق من هذا وذاك فى بناء « الحضارة الفكرية » . . ؟

هذا ما سنحاول الاستجابة له فى العدد القادم ، إن شاء الله

محمد محمود زيتونه

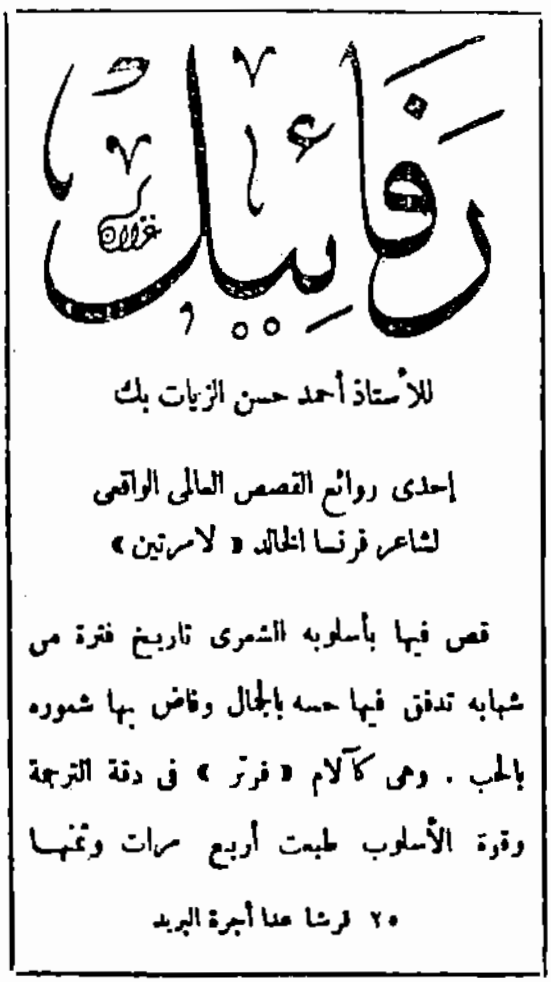

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهى كالام « فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنها

٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

٤ ـ الباكستان

دولة إسلامية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

رغبتي ودولة :

إذا أردت أيها القارئ الكريم أن ترى دولة إسلامية بالمعنى الإسلامي الدقيق فلا تحاول أن تبحث عنها في الشرق الأدنى، وإنما تعال معي إلى الباكستان فهناك سوف ترى تلك الدولة الإسلامية

في الباكستان ترى أن الإسلام هو محور الحياة وأساسها ، فالحياة السياسية والأنظمة الاقتصادية والحياة الاجتماعية تستمد أصولها جميعا من الأنظمة الإسلامية . وليس في هذا غرابة ، فقد قامت دولة الباكستان لتكون دار أمن وسلام للمسلمين من أبناء القـــارة الهندية الذين عذبوا واضطهدوا بسبب عقيدتهم الدينية . وإن سياسة الباكستان الإسلامية ليست فرضا من حكومة مستبدة على شعب مائع ، بل هي رغبة شعب مؤمن قوى تنفذها حكومة مخلصة عادلة (١)

واجب قبل أن أتعرض لوصف النظام الإسلامي القائم الآن في الباكستان أن أناقش في إيجاز أنواع النظم الحكومية التي قامت في العصور الوسطى والتي تأثرت بها الأنظمة الحكومية القائمة في عصرنا الحاضر

انقسمت الأنظمة الحكومية التي قامت في العصور الوسطى إلى نوعين : أحدهما قام في الشرق والآخر قام في الغرب

فأما النظام الأول فقد وضع أساسه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حين قامت الدولة الإسلامية الأولى في المدينة . كان القرآن دستور هذه الدولة وقانونها ومحمد (ص) زعيمها . ولما توفي النبي قام خلفاؤه من بعده بإدارة شؤون هذه الدولة ، وقد تمكن الخلفاء من توسيع رقعة الدولة حتى صارت تشمل مساحات شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى الصين شرقا

كان الخليفة يرأس هذه الدولة ويجمع في يديه بين السلطتين الدينية والدنيوية : يؤم الناس في الصلاة ويقيم حدود الله ويقود الجيوش ويجبي الزكاة ويجمع الضرائب ويصرفها على إدارة الدولة وينفق منها على الفقراء والمساكين . ولكن سلطة الخليفة لم تكن مطلقة أو استبدادية بل كانت مقيدة : فقد كان إيمان الخلفاء بربهم وخوفهم من عذابه يدفعهم إلى أن يحرصوا على إقامة العدل ورفع الظلم والسهر على مصلحة الرعية . استمع إلى قول عمر ردا على من أشار عليه بترشيح ابنه عبد الله للخلافة من بعده « يكفي بني الخطاب أن يحاسب منهم عمر » واستمع إلى قوله « لو عثرت بغلة بالعراق لسئل عمر عنها يوم القيامة : لم لم يمهد لها الطريق؟ » وهكذا كان الخلفاء يرون في الحكم مسئولية خطيرة وعبئا ثقيلا

وكان الخليفة ينفذ أحكام القرآن ويشاور أصحابه . والله تعالى يقول (وأمرهم شورى بينهم)

وقد نجح النظام الإسلامي في إقامة دولة تتمتع بالأمن والسلام والعزة والمنعة

هذا في الشرق . أما في الغرب فقد قام نظام آخر انقسمت فيه السلطة في الدولة إلى قسمين : سلطة دنيوية في يد الملك أو الإمبراطور؛ وسلطة دينية في يد البابا . وهكذا انفصلت السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية في الغرب واتصلتا في الشرق

ودار الزمن دورته وتقدم الغرب ونهض وجثم على صدر الشرق فاستعمر بلاده وعمل أن يهدم نظامه وتقاليده وعاداته . ولم يعدم المستعمرون أن يجدوا من الشرقيين أفرادا استهوتهم مبادئهم فسخروهم لتحقيق مآربهم . وعمل هؤلاء على تقليد الغرب فقامت في الشرق حكومات ضعيفة تزعم أنها تسير وفق مبادئ الغرب ، والواقع أنها لم تستطع أن تكسب مزايا نظام الحكم الغربية أو الشرقية على حد سواء

إن أهل الغرب يؤمنون بأن قوة الشرق في عقيدته الروحية، وأن هذه العقيدة إذا ضعفت انهار الشرق . ومن ثم اتجه أهل الغرب إلى أن يباعدوا بين الشرق وبين عقيدته الروحية الخالصة ، ووجدوا لأنفسهم أبواقا ترد ما يريدون وتعمل على تحقيق

(١) باكستان الدكتور عمر فروخ

ما يرغبون . وهكذا قامت حكومات وقوانين ضعيفة في الشرق هي التي نشاهدها اليوم وهي التي تقف متخاذلة أمام المستعمرين من أبناء الغرب

إذا أردنا إذن أن نبحث عن الدولة الإسلامية بمعناها الإسلامي فعلينا أن نولي وجوهنا شطر الباكستان

النظام الحكومي :

الحاكم العام هو رئيس دولة الباكستان . ولما كانت الباكستان مكونة من عدة مقاطعات هي البنغال والبنجاب وباثان (إقليم الحدود الشمالية الغربية) والسند وبلوخستان فإن لكل مقاطعة مجلس وزراء وبرلمانا . ويشرف على المقاطعات جميعا مجلس وزراء مسئول أمام مجلس نيابي يمثل سائر المقاطعات . وتشترك جميع المقاطعات في السياسة الخارجية والشؤون الحربية

ولم يتم بعد وضع دستور الباكستان الجديد ، وما تزال الجمعية التأسيسية تشتغل بوضعه. وجدير بالذكر أن نقول : إن المغفور له لياقت علي خان قدم في ٧ مارس ١٩٤٧ اقتراحه التاريخي إلى الجمعية التأسيسية ، ويقضي هذا الاقتراح بأن يكون القرآن والسنة أساس دستور الباكستان الجديد. وقد وافقت الجمعية التأسيسية على ذلك الاقتراح بالإجماع

وقد قدم الأستاذ أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان مقترحات لتكون أساس الدستور الإسلامي فيها نلخصها فيما يلي :

١ — الحاكمية في الدولة لله وحده

٢ — الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي للدولة

٣ — وظيفة الدولة تنحصر في أن تحقق مرضاة الله تعالى بالعمل في هذه الدنيا وفقا لهدايته المنزلة وفي ضمن الحدود التي عينها المولى سبحانه وتعالى

٤ — يجب أن تعمل الحكومة على إقامة العدالة الاجتماعية والمحافظة على حقوق أهل البلاد وصيانة الدولة من هجمات الأعداء

٥ — يجب أن تكون الحكومة شورية ينتخب أفرادها لصلاحيتهم وكفايتهم لإدارة شؤون الدولة

٦ — كل تأويل للدستور يخالف مضمون القرآن والسنة لا ينفذ شرعا

٧ — لا يجوز التفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات بسبب لونهم أو جنسهم أو لغتهم

٨ — يكون رئيس الدولة فيما يتعلق بالحقوق المدنية مساويا لكل مسلم آخر ولا يجوز له أن يتخطى القوانين

٩ — إذا خرج رئيس الدولة على الدستور يجب عزله

وقد عرضت هذه المقترحات على المؤتمر الإسلامي في العام الماضي فوافق عليها باعتبارها « مبادئ أساسية لإقامة دولة إسلامية »

وهكذا يتضح لنا أن الباكستان لا يستطيع أن يجعل نطاق الدين ضيقا بل يراه شاملا لكل شئ . وتتجلى تلك الروح الإسلامية في كل شئ . فالباكستان لا تسمح لدور السينما أن تعرض أفلاما فيها خروج على الدين والفضيلة ، بل إنها تعمل دائما على تطبيق المبادئ الإسلامية في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في ١٢ فبراير ١٩٥٢ افتتح حاكم عام الباكستان المؤتمر الاقتصادي الثالث فعدد المسائل الاقتصادية التي تواجه الباكستان وطلب معالجتها ، وهذه المسائل هي (١) تطبيق المبادئ الإسلامية على النظم الحديثة (٢) الإصلاحات الزراعية (٣) زيادة الادخار ووسائل الاستثمار (٤) توزيع الإنتاج بالعدل

وختم الحاكم العام بيانه قائلا : إن الباكستان قامت لتكون مجالا لمجتمع إسلامي داخل حدودها ، فعلينا والحالة هذه ألا نتقاعس عن تحقيق هذا الذي جاهدنا من أجله

وخطب وزير التجارة والاقتصاد فقال : إن عظمة الدولة الاقتصادية لا تنهض إلا إذا توفر لها عاملان : الأيدي العاملة ووفرة الموارد الطبيعية ، وقال إن القرآن يتضمن أحسن المبادئ الاقتصادية التي يمكن أن تطبق في الظروف الحاضرة وهي كفيلة بالتغلب على كل الصعاب التي يثيرها الرأسماليون والشيوعيون

ومن كل ما سبق يتجلى لنا أن الباكستان تحاول جاهدة أن تقيم دولة إسلامية بالمعنى الإسلامي الدقيق . وفقها الله

أبو الفتوح عطيفة

البلبل الذبيح

المغفور له الدكتور زكي مبارك

بعث إلى المجلة بهذه الكلمة المرحوم الدكتور زكي مبارك قبيل وفاته بأيام يرثي المرحوم الأستاذ علي محمود طه ، وقد أخرناها انتظارا لأي مناسبة تدعو إلى نشرها والمناسبة اليوم هي حفلة تأبينه التي أقامتها نقابة المحامين في هذا الأسبوع ولقد وصفناها في غير هذا المكان

أخي الأستاذ الزيات :

أرجو أن تكون بخير وعافية ، وأن تجد في المنصورة الغناء ظلا لا أجده في مصر الجديدة . وأرجو أن تكون تناسيت حزنك على البلبل الذبيح وهو الشاعر علي محمود طه

آخر العهد به يوم كان وكيلا لدار الكتب المصرية وكنت زميله هناك ، وكنت أفرح بلقائه فرح الحبيب بلقاء المحبوب

أظلمت الدار من بعده ، فنقلني معالي الدكتور طه حسين إلى منصبي الأول وهو تفتيش المدارس الأجنبية فاسترحت من رؤية مكتب علي محمود طه خالياً ، فقد ذوى الورد الذي كان يضمه في مكتبه كل صباح

ومع أن الأعمار بيد الله فأنا أذكر أن الشاعر مات بالمرض الذي مات به أبي وهو ضغط الدم ، فقد كان أبي لحيا لا يسيغ الطعام بدون لحم ، وكذلك كان الشاعر علي محمود طه فقد كان لحيا بصورة تفوق الوصف

دخلت دار الكتب فوجدت قنديل بك يبكي ، وسألت عن السبب فعرفت أن شقيق الفقيد حضر ليخبر مدير الدار أن الشاعر مات ، فبكيت أنا أيضاً حتى شرقت بدموعي

أعطانا المدير إجازة لنشهد جنازته ، ولكن أخاه نقله بسيارة إلى المنصورة وطنه الأول

بين الكفر والإيمان

من حق الشاعر أن يكفر بالله ، وإن كان من واجبه أن يؤمن بالله ، ولا أدري كيف كنت حين نظمت القصيدة الآتية وأنا أخاطب البلبل الذبيح :

يا ماضياً لبلاد ليس يشهدها ... من يرثيها وجفن العين وسنان
جميع من يرثيها كلهم نفر ... حجوا إليها وهم بالموت مهان
إن الحياة وهذا الموت يطلبها ... في شرعة الصدق تزوير وبهتان
قالوا سناق غداً ما سوف يفرحنا ... في جنة عندها البواب «رضوان»
فيها الفواكه من تين ومن عنب ... وفي جوانبها حور وولدان
هذا جميل ، ولكني بلا أمل ... في حياتي ضلالات وكفران
إن الذي أسكت الغريد أسكته ... وفي مشيئته جور وطغيان
أبى إلى النار ماض خالد أبداً ... في مسالكها للشر ميدان
قالوا سينصب في يوم الحساب لنا ... عند الميزان قسطاس وميزان
الموت نوم فلا صوت ولا خبر ... خلوا فؤادي فإن النوم سلطان
هذا «علي» مضى لم يبكه أحد ... ولا أفاض عليه الحزن فنان
أوحى إلى الشعر ما أوحى ومن عجب
أن يصدر الشعر وحياً وهو شيطان

***

أما بعد فهذه قصيدتي في رثاء البلبل الذبيح الذي لم يرثه أحد من الشعراء ، وكان يجب أن يرثيه زميله أحمد رامي

كان البلبل يمر بالقهوة صرور الطيف ليتحدث معي ، وكان يأنس بلقائي ، وكنت أتحداه أن يساجلني فلا يستطيع ، لأنه لا يقوى على الارتجال ، فقد كان يتأنق في شعره كما يتأنق في هندامه ، والشعر في ذاته تأنق

في سهرة بمنزل توحيد بك السلحدار ومعنا الأستاذ الزيات أخذ البلبل ينشد أشعاره ، وكان قوي الذاكرة ، فقلت : أنا أخذت راية الشعر من أيديكم ، فيقول : لن تستطيع يا دكتور

أخرجت من جيبي ورقة وقرأت الأبيات الآتية :

عجب الناس من بقاء أديب ... رغم بغي الخطوب والأيام
أنا أيضاً عجبت من طول عيشي ... في زمان مجنح بالظلام
إن يوماً يمر من غير غم ... هو طيف يمر في الأحلام
لا صديق يرد دبي عليه ... لا حبيب بقي بعهد الغرام
قد سئمت الحياة أو سئمتني ... فرمتني بكيدها المدام
قال لي صاحبي : نراضع قليلا ... تجد الرزق صافياً كالمدام
قلت : رزق من الرياء يوافي ... هو عندي من الطعام الحرام

قال البلبل : هذا شعر نفيس

وزارني الأستاذ مرة ثانية في القهوة فرآني مكروباً فسأل عن حالي فأنشدته قول زكي مبارك

يا سائلا ما الحال ... الحال أنت الحال

وسألني عن أسباب كربي فقلت : كان لي موعد فرام في مشرب تربومف بمصر الجديدة وهو يطل على الصحراء فانتظرني المحبوب دقائق وانصرف فصرخت بهذه الأبيات :

دقائق أضجرتك فطرت عني ... وغادرت المكان بلا انتظار
فيا حالي وقد مرت شهور ... شربن الصبر من طول اصطباري
جلست أساس الصحراء وحدي ... وأشرب لوعة مزجت بنار

قال البلبل : وهذا أيضاً شعر نفيس

كان الشاعر علي محمود طه يكره الشاعر محمد الهراوي ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمي ، وهما شاعرا الإسكندرية ، وكان البابل مغرماً بكآبة الهراوي ، فأمضى معه إلى القهوة فيقول الهراوي : أشمارك يا سيد علي من فتات موائد الشعراء الأجانب !

فيقول البلبل : وأنت يا سيد محمد لا تدخل السينما ولا تشرب الخمر ، فكيف تكون شاعراً ؟

فيقول الهراوي أنا قلت :

هم أحلوا دم الأنام شراباً ... كيف لا نستحل ماء الكروم

فيقول البلبل : هذا بيت جميل

ديوان الهراوي

الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك يشهد بأن لجنة التأليف والترجمة والنشر قامت على قدميها بما جنت من أرباح « سمير الأطفال » وكان مقرراً على جميع المدارس الأولية ، ومع ذلك بخلت اللجنة بطبع ديوان الهراوي

ودعوت أخاه الدكتور حسين الهراوي لطبع الديوان فوجد النفقات غالية

فهل يمكن إنقاذ هذا الديوان قبل أن يضيع ضيعة أبدية ؟

الشيبي في مصر

في العدد المقبل سأنشر في الرسالة قصيدة حييت بها معالي الأستاذ محمد رضا الشيبي زميل الأستاذ الزيات في المجمع اللغوي ، وقد نظمتها في الإسكندرية والبحر يضرب أمواجاً بأمواج :

محطة الرمل جننتني ... وحيرتني بلا صواب
بها ظباء بغير عد ... ولا بيان ولا حساب
عشرون ألفاً وألف ألف ... أطلت في جهنم عذابي

زكي مبارك

في تأبين الدكتور زكي مبارك

المجد الطموح الجريء

للأستاذة زينب الحكيم

عرفت الدكتور زكي مبارك بالسماع به والقراءة له في بادئ الأمر ، فقد كان له جيل من القراء والمعجبين ، كما كان له حلقة من المنافسين المحنقين

فلما رأيته .. وجدته رجلا متقشفا أشد ما يكون التقشف ، فوقعت في حيرة شديدة ، لأني عرفته غير هذا في كتابه « النثر الفني » الذي كنت سأشترك في تقريظه بعد أيام قلائل ، وحدث أن اجتمعنا في الندوة ، وتجلت شخصية زكي مبارك ، وفاض علمه واطلاعه في الردود الفجمة التي واجه بها كل مادار حول كتابه وكسب المعركة . ولا غرابة في ذلك فهو ابن الأزهر المجتهد المستوعب ، وابن الجامعات المصرية والفرنسية ، وابن جامعة الحياة العملية والصحافة. رجل نابه من الريف يزح إلى القاهرة للتعلم ، لم يتملق عظيما ولم يستجد ثريا ليلتجح في دراساته أو لينال رزقه ... إنما هو رجل نجح نجاحا عزيزا مشرفا ، فإذا لم يكن في حياة الدكاترة زكي مبارك إلا هذا ، وإلا أنه شق طريقه بالنحت بإبرة في صخور الحياة الصلبة لكفاه فخرا وخلودا ، فكيف بنا وزكي مبارك له فلسفة ، ولقلمه مدرسة ، ولنفسه طموح وجموح وثورة ؟! أودع كثيرا من هذا كله مؤلفاته العديدة ، ومقالاته العنيفة

في ذمة الله الكريم فتوة سكنت ولما تفته النهضات
في ذمة الله الرحيم فتية شبل يتمم درسه وفتاة
في ذمة الله العزيز فقيدنا وعليه من رب الملا الرحمات
يا آله لا تجزعوا إن الذي في الخلد ذكراه إليه حياة

أيها السادة والسيدات :

أهدى إلي المبارك مجلدات (ليلى المريضة في العراق) ومما رأيته على غلاف الجزء الأول منها لعلي الجارم بك ما يأتي : — « لقد ابتكر زكي مبارك فنا جديدا حين نقل الغزل والتشبيب من الشعر إلى النثر » وهذه شهادة من أديب لأديب لا يستهان بها

وكنت أتمنى لو أن زكي مبارك لم يسرف في هذا ، فإن العبقرية الجماعة يجب أن تنظم وأن تلتزم قواعد وحدودا ، ولا سيما وليس عندنا معاهد للنوابغ ترعى نبوغهم . وتحرص على توجيههم

أنظر إلى نتاج تجارب زكي مبارك فيما قاله في الجزء الثاني من كتاب ليلى : —

« أنا أشرب المر من عصير الحياة لأحيله على سنان القلم إلى شراب سائغ للشاربين » إن هذا القول يدل فعلا على أن الدكتور زكي قد ضحى بنفسه في سبيل غيره

قابل قوله هذا بقول من قال :

لا أذود الطير عن شجر ذقت (طعم) المر من ثمره

لترى مقدار تضحية زكي ، وميلغ أنانية غيره . لقد أوذي زكي مبارك في سبيل النقد الأدبي ... والنقد في الشرق ليس بسائغ ، ولا يقبل على أحسن وجوهه

لهذا حمل زكي أعصابه فوق طاقتها ، وظلم وقته ونفسه ؛ فهل يئس ؟ كلا ، وإنما أفنت زمام نفسه من يده في أحد أطرافه ، ولكنه قبض عليها على باقي نواحي نفسه الذكية السامية

استمع لبعض ما قال عن النواحي الإنسانية في الرسول حيث تتجلى فلسفته، وتنجلي عبقريته في إحدى مقالاته الفريدة :

١ — « يا محمد إنك إنسان ونبي ، والنبوة عهد من عهود العظمة الإنسانية ، إنك آية من آيات التاريخ

٢ — أحبك أيها الرسول لأنك كنت إنسانا له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكيا لوحي السماء — وما أنكر وحي السماء — ولكني أومن بأن في السريرة الإنسانية ذخائر من عظيم الصدق والروحانية ، وأنت أول من أعز السريرة الإنسانية

٣ — أحبك أيها الرسول وأشتهي أن أتخلق بأخلاقك السامية ، وأحب بنوع خاص أن أفر من الشيطان كما فررت منه .. حتى أسلم بجهادي من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس

٤ — أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

وما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

٥ — لقد فكرت مرات كثيرة في الاقتراب من روحك ، فلم يعقني عائق لأن بيني وبينك وشيجة من الإنسانية

٦ — ودعاني الشوق إلى مساءرة خيالك ، فرأيتك إنسانا كاملا لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

٧ — وصحبتك في إحدى غزواتك فهالني أن تكون رجلا نبيلا يصبر على الظمأ والجوع والأذى في سبيل الحق

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسي ابنتك فتقول :

« لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب في الدنيا مقصور على عظماء الرجال

أيها الناس : هذا طرف عابر من حياة وعبقرية وفلسفة زكي مبارك .. فيها عظة وعبرة ، وتدل على مبلغ ما خسرناه بموته ، ولكن الحياة حق كما أن الموت حق (والله خلقكم ثم يتوفاكم) وزكي مبارك لم يمت فهو حي في قلوبنا ومشاعرنا — والسلام

نرشيد الحكيم

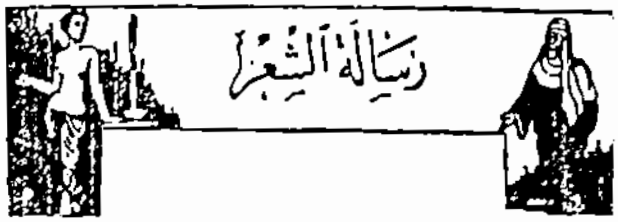

البحـــيرة

(للشاعر الفرنسي لامرتين)

نظم الاستاذ عبد العزيز السيد مطر

لى ! حرت فى بحر الزمن ! هام فلكى فى ظلام لا نهائى !
رى الشاطئ يدنو ، أو أرى أين أمضى ، ما أمامى ! ماورائى ؟
ـــا ناديت ، أرجو مرفأ لسقيى ، دون جدوى لندائى !

• • •

ت وحدى ها هنا مستلمها حدثينى ، هل توافى (١) يا بحيره ؟
ف العام تماما ، فاشهدى ما ألاق من تباريح وحيره ؟

• • •

ن الموج ، وغنى ، واستوى ماؤك العذب على الصخر الغريب
سى ينحـــاب درا نحوها يخطب الود ، و « جوليا » تستجيب
، هذا أمس حلما ، وانتهى ! أيعود الأمس أم سوف يئيب ؟

• • •

رى ليـــلة كنـا ها هنا تتساقى الحب ، « جوليا » وأنا
ب « الجداف » ألحان الأمل فمضى « الزورق » مختالا بنا
رى الإيقاع فى روح الزمن فاستجابت كل نفس حولنا

• • •

شق صمت الكون صوت حالم يجذب الأسماع بالسحر الحلال
صافح الآذان فاهتزت له وهنا العالم يصغى للجمال :

• • •

« أيها الدورة يا أرض بنا أيها الساعات لا تمض الأوان
خلينا وحـــدنا فى حلكنا نهل الكأس ، فإنا عاشقان
أسرعا ما شئتما مع غيرنا أسرعا مع كل مكروب مهان
واحلا الآلام عنه والضنى واحيا العشاق من غدر الزمان
هل أجاب الدهر سؤلى ؟ لم يجب ! هكذا الدهر ضنين بالطلب
ها هو الليل تقضى مسرعا ، هجم الصبح عليه ، فهرب !

• • •

امزج الكأس بحبى واسقنيه ـــا دهاقا ، فهى سلوى الحائرين
واقض كالمح الأماني ، وافتنم إنما الدهر عـــدو الحالمين !
فهو كالسهم مروقا ، لا يشا ء أناة أو رســـوا بالساكنين !

• • •

ويح نفسى من زمان حاسد يكره الحب ، ويهوى البائسين !
جعل الليـل سواء ، لو عدل طال ليلى ، وانقضى ليل الحزين

• • •

أيها الغور أجبنى مخلصـــا وتكلم أيها الماضى الدفين !
أيرد الدهر أياما مضت ؟ أم طواها فى ثنايا الذاهبين ؟
ليت دهرى يحفظ الذكرى لنا ! إنما الذكرى حياة العاشقين ؟

• • •

هـــذه الليلة كانت نشوة يهيج النفس شذاها إن خطر
أيها التاريخ خلد ذكرها فى نسيم الفجر ، أو ضوء القمر

• • •

إنمـــا الحب جميـــل دائما فى هدير الموج ، أو صفو اللجين
شـــاهد الكون هوانا فليقل كل شىء فيه « كانا عاشقين »

عبد العزيز مطر

(١) الحبيبة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الدكتور زكي مبارك :

أقامت نقابة الصحفيين يوم الجمعة الماضي حفلا لتأبين فقيد الأدب والصحافة الدكتور زكي مبارك ، وقد توالى الخطباء والشعراء في هذا الحفل ، فوفوا الفقيد حقه من الرثاء ودراسة حياته وأدبه . ويعتبر مجموع الكلمات التي ألقيت كتابا عن « زكي مبارك » لا بأس به ، وتحسن النقابة صنعا لو أنها قامت بطبعه ونشره

كانت كلمة الأستاذ حافظ محمود — على إيجازها — وافية ، وأفاض الأستاذ محمد عبد القادر حمزة في محاضرته التي تناول فيها جوانب مختلفة من شخصية الفقيد وأدبه ، وكان الأستاذ مظهر سعيد — كعادته — مجليا في الخطابة ، وكان ختام كلمته رائعا إذ قال : كنت واحدا ممن اكتووا بنار الدكتور زكي مبارك ، وقد أشبعني شتما ، ثم مات وبيننا عداوة ، وقد سمعتم رأيي فيه ، والفضل ما شهدت به الأعداء

وتحدث الأستاذ حسين كامل عن جهاد الفقيد في القضية العربية فقال إنه كان من أوائل من نادوا بالوحدة بين الناطقين بالضاد

وتطلعت الأنظار حين وقفت الآنسة زينب الحكيم . . . ترى ماذا تقول عن زكي مبارك الذي جعل ديدنه في كتابته النيل من شأن المرأة والدعوة إلى أخذها بالعنف . . ولكن الآنسة زينب جازت الفقيد إحسانا بإساءة ، ومما قالته أن الدكتور زكي مبارك كان خفيفا على قلوب النساء سواء في عداوته ومناصرته ... ولعل هذا من مصداق رأيه في النساء من حيث أنهن إنما يكرهن بالشدة !

أما الدكتور منصور فهمي بإشا فقد كان الحاضرون يتوقعون منه — باعتباره عضوا في مجمع اللغة وعميدا سابقا للآداب — أن يكون على وفاق مع سيبويه ..

وقد ألقى الأستاذ محمد مصطفى حمام قصيدة جيدة تميزت بالانطباق على شخصية الدكتور زكي مبارك ، مطلعها :

عابد الحسن هل جفا محرابه ... مدمن العشق هل سلا أحبابه؟

ومنها :

الخطيب المبين أخمده المو ... ت وألقى بيانه وخطابه

الجريء الغاضب الصعب قد أو ... دى فان يملك المدا إغضابه

وهب الله للصدور صفاء ... وتولى حسابهم وحسابه

حول تقديم الشاعرين الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي

أنيت في الأسبوع الأسبق بخلاصة الكلمة التي ألقاها الأستاذ عباس محمود العقاد في تقديم الشاعرين الفائزين بجائزتي الشعر لهذا العام في مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد عنى الأستاذ في تلك الكلمة ببحث أسباب الأزمة الشعرية في الغرب وما أدت إليه من قيام « الاستفزازيين » في الشعر وفي سائر الفنون ، الذين فقدوا روح النضال ووجهوا همهم إلى تحدي المثل والمناهج والأهداف

وقد لوحظ أن ذلك البحث استغرق جل عناية الأستاذ ، فلم يظفر الفائزان منه إلا بيسير من القول تطرق إليه بقوله إن حالة الاجتماع عندنا تختلف عن حالة البلاد الغربية ، فلم تصل فنوننا إلى ما وصلت إليه الفنون في الغرب من الحيرة والانقطاع عن المثل ، واتخذ الديوانين الفائزين بالجائزتين شاهدا على ذلك . وهنا موطن الملاحظة الثانية ، وهي وهن العلاقة بين الموضوع الذي ظفر بأكبر الجهد وبين الديوانين اللذين طغا عليهما ذلك الموضوع وكانا أحق بالنظر والدرس في مناسبة إجازتهما

كنا نتوقع أن يحدثنا الأستاذ عن شعر كل من الديوانين ، معرفا أو ناقدا ، ويبين لنا خصائص كل منهما على حدة ، ولم استحق الأستاذ إبراهيم نجا الجائزة الأولى ، ولم استحق الأستاذ خالد الجرنوسي الجائزة الثانية

حقا أن الأستاذ العقاد جرى على أن يكون لكلمته في مثل هذه المناسبة موضوع عام ، وأذكر كلمته في مسابقة من مسابقات

الجمع السالفة ، إذ أجرى الكلام فيها على المذهبين الشعريين : الاتباعي والابتداعي ، وطبق ذلك على الشعراء الفائزين إذ ذاك وهم الأساتذة محمود غنيم ومحمد الأسمر ومحمود عماد

ولكن الأستاذ الكبير في هذه المرة أتى بموضوع لم يطبق نتيجته على شعر الشاعرين الفائزين ؛ ويخيل إلى أنه فعل ذلك تخلصا من الحرج الذي يتمثل في عدم انطباق هذا الشعر على مذهبه المعروف الذي يجعل القيمة الأولى للشعر فيما يتضمنه من « فكرة » ولهذا اختار منه — للاستشهاد — ما يلائم هذا المذهب

وماذا يقول من يتحدث عن شعر إبراهيم نجا إن لم يكن في مقدمة ما يقول ، ما يمتاز به هذا الشاعر من الروح الشعرية الرفافة والتعبير البين عن الوجدان الصادق ؟ ومن هنا — فيما يبدو لي — يلتمس العذر لصاحب المذهب الفكري في تجنب الحديث التفصيلي في هذا الشعر

مسرحية « كرب في كرب »

قدمت فرقة المسرح المصري الحديث أخيرا على مسرح الأوبرا الملكية ، مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « كذب في كذب » وقد قام بإخراجها الأستاذ زكي طليمات مدير الفرقة

تعرض المسرحية أشخاصا يعيشون في بيئة « أرستقراطية »

فهذا « كريم بك » شاب وسيم يستهلك ثروته الكبيرة الموروثة في المقامرة على سباق الخيل ، ويأتي في ذلك بضروب من السفه والتبذير والإتلاف حتى ينتهي به الأمر إلى الإفلاس ، ويلتقي في خلال ذلك بالفتاة الجميلة « كريمة » التي تتبناها وتكفلها امرأة غنية هي « شفيقة هانم » ويبدي كل من الفتى والفتاة استخفافا بالآخر أول الأمر ، ثم يزين لهما المحيطون بهما أن يتزوجا ، فيقال لكريم بك إنك على وشك الإفلاس وهذه فتاة غنية ، ويقال لكريمة شبه ذلك ، فيصطنعان الحب ويتزوجان

و « نصار بك » زوج شفيقة هانم رجل وضيع النفس يطمع في مال زوجته وقد تزوجها من أجل ذلك ، ومن أغراضه أن يستأثر بهذا المال دون « كريمة » ثم يتظاهر بالعطف على الفتاة طمعا فيها .. فتجاريه أولا لتكشفه ثم تصده وتزجره ، فيتمادى في خطته لحرمانها كل شيء

و « نبيه بك » عمدة إحدى القرى يغشى مجتمعات القاهرة الراقية ، يتطرف ويتأنق محاولا أن يبدو مثل أفراد هذه المجتمعات ، ويوجه اهتمامه إلى « كريمة » رغبة في زواجها ، ويحاول صديقه « نصار بك » أن يعاونه على ذلك ، ثم ينتهي الأمر بهذين الصديقين إلى السجن لتلاعب في بعض الوثائق

و « فواز بك » رجل مُري متزن حصيف خرجته تجارب العمر الطويل ، يعمل على التوفيق بين أشخاص الرواية بخاصة « كريم » و « كريمة » على أساس فلسفته التي استفادها من الحياة ، وهي أن الإنسان لا بد له من الكذب والنفاق لمسايرة الناس ومواكبة الحياة ، وهو لذلك يهون الأمر على الزوجين المتخاصمين ، فحين تنكشف حقيقة كل منهما للآخر فيتبين إفلاس الغني ، وتتجلى ظروف الفتاة بذهاب الثروة التي كانت تظاهر بها ، ويعرف كل منهما أن صاحبه كان يكذبه ويخدعه — يقوم فواز بك بمهمته في إقناعهما بأن ما كان منهما لا بأس به ولا ينبغي أن يؤدي إلى الفطيمة بينهما ويخلي لهما المكان لينفاهما . فيتفاهما عملا بفلسفة فواز بك ، بل هما أكثر من ذلك يشعران بأنهما إلى تبادل شعور المودة ، فيحمدان الكذب الذي تبادلاه أول الأمر إذ كانت نتيجته الحب ... وتلتقي فلقتا الستار وهما في جحيم من القبل ...

هل لهذه المسرحية موضوع ؟ لا أريد أن أجزم بشيء من ذلك . يخيل إلي أولا أنها « رد فعل » للفن الوعظي الصارخ الذي يشتمل على الخطب ويعتمد على التأثير بالافتعال والمفاجآت

وتيمور قصاص هادئ يرقب الحياة في سكون ونفاذ ، ويتمثل ذلك على أكمله في هذه المسرحية التي يقدم بها أشخاصا ينتزعهم من الحياة كما هم ويدفع بهم إلى المسرح ليأتوا من الأفعال والأقوال ما يأتون في الحياة ، وأحسب أن شخصية « فواز بك » تعكس بعض صفات المؤلف نفسه ..

والمسرحية ليس فيها صراع ، فلا يأتى شوق المشاهد وتنبهه لما يجرى فيها — لا يأتى ذلك من أحداث يتوق إلى أن يعرف كيف ينتهى ، وإنما يجتذب المشاهد عرض التصرفات التى يراها مطابقة لما يجرى فى المجتمع ، وطلاوة الحوار وما فيه من دعابات وإشارات إلى حقائق فى النفوس الإنسانية

وإذا كان لا بد من تلمس الموضوع فلا أجده إلا فى هذه الفلسفة الواقعية التى تنطق بها أعمال الأشخاص وأقوالهم ، وكأنهم يقولون : ها نحن أولاء ناس من الناس نفعل ما تسوق إليه دوافعنا البشرية ولا يعنينا أن توصف أعمالنا بخير أو شر

وكأنى بالمؤلف يقول : إلى متى نظل نكذب أنفسنا فنصورها فى العمل الفنى على غير حقيقتها ؟ نحن نكذب ولا نستطيع أن نعيش بغير كذب ، وليقل من يقول على المنابر ، وليكتب من يكتب على الأوراق ، فى فوائد الصدق ومضار الكذب ، مايشاء ، ولنقصد نحن إلى الواقع ، وهذه هى نتيجة الكذب ... الخ ...

ومن مظاهر التوفيق فى إخراج المسرحية ما قام به مخرجها الأستاذ زكى طليمات من أنواع التعبير عن طريق التناظر والأضواء المطابقة والموحية ، ويسترعى انتباهى دائما فى إخراج الأستاذ زكى طليمات حسن تنسيق المجموعات الصامتة وإحكام حركاتها ليحيل صمتها إلى نطق .. ومن تلك المظاهر أيضا حسن إعداد الممثلين والممثلات وإسناد الأدوار الملائمة إليهم واستنباط كفاياتهم الكامنة . هذا ولست أدرى لماذا جعل نور الدمرداش فى دور كريم بك يستمر فى حالة عصبية من أول الرواية إلى آخرها ، والمفروض فى هذا الدور أن يكون صاحبه الشاب الظلاف مرحا طروبا . نعم قد يبتئس فى بعض الأحيان لما يطرأ من سوء الحال ، ولكنه لم يكن على ما ينبغى فى عدة مواقف كانت تتطلب التلطف والمرح

والأحظ فى تمثيل هذا الشاب « نور الدمرداش » أنه هو تقريبا فى أدواره بالروايات المختلفة ، فهو يكرر نفسه كما يقولون . وتماثله فى ذلك الفتاة « زهرة العلى » التى قامت بدور « كريمة » فالشابان لا تكفى وسامتهما ، بل لا بد لهما من التدويع والتجرد من السمة الواحدة

وقد قام عبد الرحيم الزرقانى بدور فواز بك فأجاد بالاندماج فى الشخصية المرسومة ، وبراعة الاندماج من مميزات الأستاذ الزرقانى

وكان أحمد الجزيرى ، الذى مثل سكرتير كريم بك ، عصب الفكاهة فى هذه الرواية ، وقد وفق فى دوره كل التوفيق ، وكذلك عدلى كاسب الذى صور شخصية « العمدة » وما لابسها من مفارقات فأجاد فى ذلك

أما سميحة أيوب فقد لاحظت أنها تقدمت تقدما كبيرا ، فقامت بدور « أرتست الحرب » خير قيام

فى ذكرى ابن سينا :

كان الدكتور محمد يوسف موسى من أنشط أعضاء اللجنة التى ألفت فى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية للاعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا ، فقد قام بستة بحوث فى نواح مختلفة لصاحب الذكرى ، منها بحث موضوعه « الناحية الاجتماعية والسياسية فى فلسفة ابن سينا » وهو بحث قيم تناول فيه بالعرض والتحليل آراء ابن سينا فى مسائل الاجتماع والسياسة ، وعرض لما يمكن أن يطبق منها فى العصر الحاضر . وقد قام المعهد الفرنسى فى القاهرة بنشر هذا البحث باللغتين العربية والفرنسيه

وكان المفروض أن يكون الدكتور موسى بين أعضاء وفد مصر فى المهرجان الذى أقيم ببغداد ، ولذلك دهشنا عندما رأيناه بالقاهرة فى وقت انعقاد ذلك المهرجان . والذى حدث أن جميع أعضاء اللجنة سافروا إلى بغداد بصفات مختلفة ، ممثلين للجامعات والهيئات العلمية والجامعات العربية . أما الدكتور موسى فقد أهمل إهمالا لا أجد له وصفا أخف من أنه غير لائق ، فهو من أساتذة جامعة فؤاد الأول ، ومن أبناء الأزهر وكان أستاذا به ، فكان يمكن اختياره ممثلا للجامعة أو للازهر ، ولم يكن أقل من أن يختار فى وفد الجامعة العربية ، وقد كان بين المندوبين من هو أقل منه نشاطا فى هذه الذكرى ، بل من لم يكن له نشاط فيها ...

عباس خضر

عقيدة المسلم

تأليف الاستاذ الراهب محمد الغزالي

الاستاذ محمد فياض

من القواعد الاجتماعية التي نرى مع معتنقيها وجوب الأخذ بها : أن الشيء لا يوجد ، أو بعبارة أدق وأصدق في الحكم ، لن يكون له كيان إلا إذا كان المجتمع في حاجة إليه ، وبمقدار ما تكون عليه حاجة المجتمع لشيء ما ، بمقدار ما يكون وجوده بل كيانه متحققاً في عالم الواقع ، وكانا يعلم أنه قد يوجد عبقري في بيئة ما ، ولكن تلك البيئة في حالة لا تسمح له بوجود أو كيان ، أو في حالة لا تهيئ له الظروف التي ينبثق من ورائها نبوغه ؛ ومن يدري ملريما لو قدر لنابليون ، أن يعيش في غير عصره أو في غير بيئته ؛ بل لم تكن بيئته على الوضع الذي كانت عليه إبان وجوده ؛ لما قدر له وجود أو كيان .. لأن استجابة مجتمعه إليه ، كان متوازناً مع حاجته إلى قدرات « نابليون » وإمكانياته الخاصة

وعندنا الآن في الشرق ، حين نفتق الآثار العديدة في ميادين الحياة العامة ، على ما بها من تشابك واختلاط وتغلغل ؛ وهنا في مصر على وجه الخصوص ، حين نتتبع علائم الحياة في مجتمعنا العريق ؛ نجد أن كل مظهر نشهده ، وكل تقدم نحصل عليه .. إنما حدث ويحدث وفقاً لمقدار الحاجة الشعبية إليه ، ولمقدار شعورنا بتلك الحاجة ، ونعتقد أن ما يمنعنا عن التفصيل في تتبع الآثار الرئيسية التي تكشف عن حاجاتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية . . في الشرق وفي مصر ؛ هو أننا في غير موطن الحديث ، خاصة والأحداث الشرقية والمصرية على السواء لم تستكمل حلقاتها النهائية بعد ؛ وشيء آخر ، لعل القارىء يدريه ، وأمله أن يتصل بشؤون السياسة الحاضرة أو نظم الحكم الموجودة .. من قريب أو بعيد !!

ولكننا مع ذلك ، سنتحدث في ميدان من تلك الميادين ، وعن كتاب من تلك الكتب التي خرجت إليه باعتباره أكمل كتاب وجد في حقله الخاص من ذلك الميدان ، وعن مؤلفه باعتباره أول رائد أصاب في ذلك الحقل جد الكمال

فما سقنا تلك المقدمة المجملة إلا من أجل شيء أردنا توضيحه وأردنا الخلوص إليه ، بعد إقامة الأساس الذي تستند إليه فكرتنا عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه العالم الأديب

ونستطيع القول أنه منذ ربع قرن تقريباً ، وقد بدأت حاجة الشعوب الإسلامية إلى النهضة من جديد في الاشتداد ؛ نعني أن هذه الشعوب قد بدأت في مرحلة الإحساس بالظلم والجوع إلى الاستقرار العام والتنظيم الشامل .. على الأساس الاسلامي؛ ونعني أيضاً أن مشاعر الفكرة الاسلامية في نفوس هذه الشعوب قد دخلت في دور آخر دعامتاه : التكتل من جهة ، والتكوين من جهة أخرى ، ولقد كان ذلك الدور الحديث نتيجة طبيعية لأدوار الانحلال التي منيت بها القرون الاسلامية الأخيرة تحت وطأة الحكم الفردي ، بما جره من ألوان الخلافة والإمارة والإقطاع ؛ فذلك الانحلال الذي أصاب الشعوب الاسلامية ، هو نفسه الذي أشاع اليأس القاتل فيها ، وشوه معالم العقيدة والسلوك في القلوب والأذهان .. وهو نفسه أيضاً الذي أحدث الأمل كرد فعل طبيعي مباشر ، لما شاع من يأس وما استشرى من قنوط . ونملك أن نؤكد بأن ذلك الأمل قد بزغ أول ما بزغ وأشرق أول ما أشرق . . في أرض الحجاز بدعوة « محمد بن عبد الوهاب » السلفية .. ثم ما أعقبه من أصداء لتلك الدعوة ، في آسيا .. على يد الإمام الشوكاني ، والسيد أحمد ، وجمال الدين الأفغاني ، وفي أفريقيا . . على يد السنوسي ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني

ويجب أن نقرر : أن الحكم الفردي الذي كان السبب الأول والمباشر ، لانحلال الفكرة الاسلامية وتدهور شعوبها ، هو الذي قضى على ازدهار الدعوة الوهابية وانتشارها ، وشوه حقيقتها في نفوس معتنقيها ومؤيديها إن لم يكن قد طمسها ؛ وأن الطابع الفكري المحض ، الذي اتسم به الدعاة من بعد ابن عبد الوهاب ، هو الذي باعد بين عامة تلك الشعوب ، وبين

هذه الدعوات وأراءها ، فاتجه هؤلاء الدعاة إلى الحكومات دون الشعوب ، وإلى الخاصة دون العامة .. وساعد على ذلك كله أن مرحلة الظمأ والجوع أو اليقظة الشعبية ، لم تجاوز بعد الفجر الأول للأمل ؛ وأن الروح التكوينية التربوية ، كانت شديدة البعد عن هذه الدعوات ، وبخاصة فيما أعقب دعوة ابن عبدالوهاب من دعوات . وعلى أية حال . فقد مهدت دعوة ابن عبد الوهاب وما حدث بعدها من أصداء ، لحدوث الفجر الصادق للفكرة الاسلامية ؛ لتبدأ مرحلة الظمأ والجوع فى الاشتداد ؛ ولتدخل الجوع الشعبية فى طور « التكتل » الذى تمخض حتى الآن عن « أندونيسيا والباكستان » ، وفى طور « التكوين » أو طور الشروق — كما يحلو لى أن أسميه — وقد قدر لذلك الطور أن يقبل فى يسر من الرأى الشعبى العام ، بغض النظر عما اعترضه من صعاب .. نتيجة للجهل الشعبى الذى يكافحه ذلك الطور ، ونتيجة للاستبداد الفردى الذى ما زال بقاياه

ولقد بدأ هذا الطور منذ ربع قرن ، كما أسلفنا الاشارة ، نتيجة للحاجة الشعبية ، والجو المعد الملائم ، الذى سبقته الارهاصات والنذر ، فقدر لداعية الاسلام الشهيد «حسن البنا» أن يكون أول من يرتاد ذلك الطور ، فتتكون على يديه هيئة إسلامية عالمية ، كل أهدافها تنحصر فى التكوين التربوى الاجتماعى ، على المنهج الاسلامى الفردى للعقيدة والسلوك ، قبل الدخول فى دور « التكتل العام » الموحد ، وأرى من التباشير ما ينبئ بالتقاء طورى « التكتل والتكوين » فى ذلك الدور المنتظر .. فى المستقبل القريب

ومن طبيعة الدعوات الناجحة أن تنمو وتتسع ، وتتعدد جوانبها ، حتى تشمل سائر مرافق الحياة . سواء منها الاجتماعى والسياسى والفكرى ... وقد كانت دعوة « الاخوان المسلمون » دعوة اجتماعية ، تمثل الحاجة الاجتماعية للشعوب الاسلامية ، وإلا لما قدر لها ذلك الصمود وهذا الانتشار . وكان لا بد لتلك الدعوة من الاتساع والامتداد ، لتشمل كل ما يتصل بحياة الانسان ؛ وليس معنى ذلك استغراق الدعوة الاجتماعية ، لكل من الميدان الفكرى والسياسى ، على تفرد فى معناها الخاص ، بل إن أى ميدان تتناوله منهما لا بد وأن يكون إلى جوار معناه الخاص وصفته المميزة ، صفة أخرى . هى الصفة الاجتماعية

فالدعوة الاجتماعية إذن . تزاوج بين طبيعتها وطبيعة الميدان الذى تعمل فيه . والحاجة الشعبية إذن .. كما احتاجت إلى الهيئات الاجتماعية فى الميدان الشعبى الاجتماعى ، فهى أيضا تحتاج إلى الأفراد الأفذاذ ، فى الميدان الفكرى ، وفى الميدان السياسى .. وهى كلها دون شك حاجات عامة تحتاجها الفكرة الاسلامية وشعوبها . وفرق كبير بين الحاجات العامة التى تحتاجها الفكرة والشعوب ، وبين الحاجة الخاصة التى تحتاجها الهيئات الاجتماعية لتسد الحاجة الشعبية فى الميدان الاجتماعى

والجانب الذى سنعرض له ، هو الجانب الفكرى من الميدان الاجتماعى ، وهو بلا شك ، يشمل حقلين اجتماعيين فى الفكرة الاسلامية ، هما : حقل « العقيدة » وحقل « النظام » (السلوك والتشريع) . وفى هذا الجانب بحقليه ، كتب الأستاذ محمد الغزالى كتبه ، كواحد من الدعاة فى الميدان الاجتماعى ؛ وزاوج فى مؤلفاته بين النظر إلى نظم الشرق الحالية ، ونظم الاسلام التى كانت أو التى يجب أن تكون ؛ بل زاوج بين ما يصطرع فى الأفق العالمى من مبادئ ونظريات ، وبين مبادئ الفكرة الاسلامية ، بطريقة المقابلة أو التعريض .. يحدوه فى كل ذلك الطابع الاجتماعى الذى تنشده دعوته الشعبية ، والذى لا يهدف أصلا لغير الاصلاح الاجتماعى العام كهدف أساسى مقصود . والواقع الذى تنبهنا فى كتبه ، عن طبيعته كزلف . وطبيعة كتبه وطريقة عرضها ، يؤيد لنا ما نسبه إليه ، من أنه يعمل فى الميدان الاجتماعى وفى الجانب الفكرى منه ، ومن أنه يسد حاجة خاصة تحتاجها دعوة اجتماعية لتسد حاجة عامة من الحاجات الشعبية المعاصرة

فالأستاذ محمد الغزالى ؛ يفكر برأس عالم ، بما يحويه المنى العلمى من لوازم الدقة المنطقية ؛ وينفعل بخواطر الأديب فى وضع تأملى محدود ؛ ويكتب بعد ذلك برأس هذا العالم ، وقلم ذلك الأديب . ولكنه ليس بالفرد الذى يجول فى محيط تفكيرى خالص ، فهو إذا عكس لا يضخم ، وإذا أحاط لا يتسق ، وإذا تغلغل لا يتوغل . ومع ذلك ، فهو صفحة حساسة صادقة التصوير الجزئى للفكرة والمجتمع ؛ فعدسة منظاره ، ليست بالمجمعة المكبرة ، ولا بالمفرقة الموزعة ؛ فهو إذن .. باحث محدود المجال ، لا يكتب للزمن كله ، والمكان

كله ، والفكرة نفسها ، بقدر ما يكتب لجيله وعصره ومن يعيش فيه ، ولسوف تلمس فى أسلوبه ، ليونة الانسياب ، وعقد الفاصل حين الانتقال من فكرة إلى أخرى ، وقد يفقد أسلوبه أحيانا سلاسته التعبيرية وبساطته العامة . ولكن الفكرة والمكان ، ستظل دائما موصلة لما نبا عنه . ولسوف تحس من أصداء عباراته على طولها ، لهجة الحديث ، ونغمة النقاش ، وهمس المواطف ، وحدة الحماسة: كأنك معه فى وقفة تفاهم ، تتراوح على وجهك أنفاسه . أما أداؤه فأداء تلقائى يجرى فى ركابه مصطلحات عديدة ، تكونت أخيرا فى الميدان الاجتماعى ، من جراء البحث المستند على علوم المنطق والاقتصاد ، والنفس والاجتماع ، وأما تصويره ، فكل ما نملك قوله فيه ، أنه لن يخرج عن خصائصه ، ولا عن طريقته الناجحة من رأس المعالم الدقق ، وخواطر الأديب المتأمل

وحين نقرأ كتب الغزالى ، ورائدنا البحث عن طبيعتها وطريقة عرضها ، فسنعرف أولا أنها عامرة باللمحات ، ناطقة بقدرة المؤلف على الاستنباط والاستنتاج ، ومدللة على طرافة البحث وجدة جوانبه ومناحيه ، ولكنها لا تدل كثيراً على أنه مفكر خالص وكاتب أصيل .. فوحدة الموضوع — وإن وجدت فى غالب كتبه — مفقودة الاستغراق والعمق .. ووحدة العرض وجودته ضائعة تحت هذه العناوين العديدة التى تموج بها كتبه ، والتى لا تجرى على أساس من التتابع المنسق والتبويب المنظم .. ودقة التقسيم فى الموضوع وفى الكتاب مفقودة العرض والطول ، ولا تشمل عادة كل الأقسام المبتغاة . وسنعرف أخيراً عن طريقة عرضه أنها طريقة هادئة متأملة .. مستطردة ، موسومة بطابع العاطفة والاخلاص وعدم التحيز ؛ وأنها طريقة ذهر منها منهج البحث الحديث . ونعلل ذلك بأن غالب كتبه قد كتب فى مقالات ، لتكون « فصولا نابضة بالايمان الحى ، والمنطق الذكى ، والعاطفة الحارة » ؛ وبأنه قد كتب بطريقة ذاتية محضة ، لا تعتمد إلا على دقتها الخاصة ، وثقافتها المختمرة ، وخواطرها الذاتية ، ولكن ذلك لا يطعن مطلقاً فى سدها لحاجة الجانب الفكرى من الميدان الاجتماعى ، وما نظنه بمقلل من أهميتها ، كما لا نزعم لحظة ، أنه سينقص قارئاً من عشرات الألوف الذين يقتنون كتبه !!

وهذا المنحى الذى ألمعنا بجوانبه ، هو ما يسيطر على ما أخرج الأستاذ الداعية محمد الغزالى فى الحقل النظامى من كتب ، سواء فيها من الاسلام والأوضاع الاقتصادية ، والاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، والاسلام والمناهج الاشتراكية ، وتأملات فى الدين والحياة — ومن هنا نعلم — إلى ما سوف يخرج فى أفق « السلوك » فى كتابه المرقوب « خلق المسلم » ، ولكن هذا المنحى سوف يتغير كثير من جوانبه فى كتابه « عقيدة المسلم » الذى أخرجه فى حقل العقيدة ، ليسد به حاجة الفكرة والشعوب إليه ، غير أن هذا التغيير فى بعض الأحكام ، لن يؤثر على مكانة الغزالى ، كحاجة خاصة فى ميدانها الاجتماعى

ونحن أدرى والله ، أكان يجب صدور هذا الكتاب منذ سنوات ؟ أم أنه قد جاء فى وقته الملائم ؟ فقد انتهت العقيدة الاسلامية إلينا الآن ، بل ومنذ أجيال عديدة ، موسومة بعلم « الكلام » ، مربوطة بمجلة المنطق « البيزنطى » مبتوتة الصلة بالفؤاد ، شديدة التآخى مع العقل . بقواه الذهنية الجافة ، ومقاييسه الآلية البحتة ، وموازينه النظرية الخالصة ، مما دفع بالعديد من طلاب العقيدة إلى الهرب من جفافها ، ليقفوا بجوار العامة اليائسين ، فى رحاب التصوف وشطحاته ، باحثين عن الجذوة التى تحيى فى قلوبهم جذور الايمان ، وتنعش فى نفوسهم عاطفة الحب الالهى . وكنا بين ذلك ، فى قفر يجدب من روح الايمان العقيدى ؛ لابتعاد العاطفة الوجدانية عنه ، وانسوق الجفاف الذهنى به . وكانت حاجتنا الشعبية تحتاج إلى غربلته من الحصى ، وتصفيته من الرواسب ، وتنقيته من الخلاف ، وتشذيبه من التطرف ؛ بل تحتاج إلى أن تكتب موضوعات العقيدة من جديد ، بروح الاسلام الخالد ، الموازنة بين العقل والوجدان ، والمنطق والعاطفة منذ أن عرفنا الفجر الأول للأمل ، ومنذ أن عشنا فى فجره الصادق . ولقد خرجت إلى هذا الحقل العقيدى رسائل عدة ؛ ولكنها لم تكن لتحمل روح الايمان المنساب ، وطبيعة العقيدة الصافية ، وأصالة التأليف الكامنة ، واستغراق المباحث المتعددة ؛ أما هذا الكتاب ... فقد حل كل ذلك ، وغربل ، وصفى ، ونقى ، وشذب ، حتى أحسست وأنا أقرأه ..

أنني أعيش في مشهد الفجر الأول للوجـــود ، وأتصل بالله وبالكون وبالحياة ، اتصالا أليفا لا تنفصم عراه ، ولـوف أعود لقراءة ذلك الكتاب كلما دبت في أعصابي معركة ، أو تسرب إلى نفسي قلق ، وإلى روحي اضطراب

وأعتقد أنه من العبث التفكير في تركيز الكتاب أو فكرته ، ما دامت موضوعاته الشهيرة لا تتجاوز نطاق الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وما دام المؤلف الداعية لا يسمح لأحد أن يجمع خيوط كتاب له في يديه ليعرف هيكله العام . ولسنا نقصد أن المؤلف لم يتبع نهجا معينا في نسج كتابه ؛ فقد خرج لنا المؤلف في موضوعه المطروق بتقسيم جديد ، وتعديل كذلك ، وإن كانت موضوعات العقيدة ما تزال هي هي لا تزيد ، اللهم إلا في فصول يستدعيها العصر الحاضر « كعقيدة الألوهية عند الفلاسفة والعلماء » و « بين النبوة والعبقرية » . والشيء المتبقي إذن هو في معرفة المنارات الرئيسية ، التي وضعها المؤلف نصب عينيه ، حين طبخه لذلك الكتاب ، ومن مقدمة الكتاب ، نقتطف بضع نقاط ترشدنا إلى منارانه العامة : « هذه بحوث في العقيدة دفعتني إلى كتابته قلة الرسائل التي تعنى بهذا اللون من علوم الدين ، وتعرضه في أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين »

« وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم في نسق يخالف ما ألف الناس قراءته عن هـذه الأصول في مظانها من ثقافتنا الدينية ، لا لأني جئت بجديد في هذا الميدان : بل نزولا على منطق التجارب ، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الاسلامي من أحداث ، وتوخيا للسير في هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة » . « وقد بذلت جهدي أن أتجنب أشواك الخلاف ، فإذا استطعت طيه في السياق الطرد طويته وتجاهلته ، وإذا اضطررت إلى خوضه عالجته على كره ، وذكرت ما استبان لي أنه صواب . وقد أستجهل الطرف المقابل — ولا أكفره — لأن الجهل الفاضح كما ظهر لي ، أساس كثير من المشاكل العلمية المبهمة . وربما لمحت في أخلاق المجادلين عوجاً ، وفي أسلوبهم عنفاً ، فأوثر مغفرة هذا كله ، على مقابلة السيئة بمثلها ؛ لأننا أمة فقيرة جدا إلى التجمع والائتلاف ، فلندفع ثمن هذا من أعصابنا .. والمرجع إلى الله »

ومع أن الكتاب قد خرج ليسد حاجة المسلمين المعاصرين في حقل العقيدة ، ويعالج مشاكل العصر ، فإن هذا الكتاب سيقبل الزمن كله والمكان كله ؛ لأن هذه الحاجة وتلك المشاكل في حقل العقيدة ، هي دائما حاجة كل الشعوب ، ومشاكل كل العصور ؛ يضاف إلى هذه العلة : أن النسق الذي أراد به المؤلف محو آثار الماضي السوداء عن جبين الحاضر في هذا الحقل ، قد دفعه إلى الحذر والأناة .. في تعبيره وتصويره وأدائه ؛ وأن طبيعة الموضوع المقســـمة المطروقة ، ووحدانه ... العديدة ، قد جعلت طريقة العرض لديه في هذا الكتاب ، حسنة التكوين مقبولة . وهذان الأمران الأخيران ، لم يعرفهما كتاب له من قبل ، وهكذا نجح في ذلك الكتاب الواقع في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، وسد به حاجة خاصة لدعوة اجتماعية في الميادين الشعبية

وكل ما نرجوه ، هو أن نشهد ذلك الكتاب مطبوعا باللاتين ، شائعاً بين الشعوب كلها ؛ . . عسى أن تعرف عقيدة الاسلام في وضعها الطبيعي الفطري ؛ . . وعسى أن تبصر حقائق التوحيد الإلهي .. والقضاء والقدر والجبر والاختيار . . والايمان والعمل .. والخطيئة والتاب . . والخلود ؛ فتنجاب روائح الفساد السياسي والاجتماعي والنفسي .. ، ولعل الخطوة إلى ذلك : أن تدرســـه في المرحلة الثانية من التعليم الأزهري ، فتخرج طائفة تبصر جيلها بعقيدتها ، صحيحة خالية من الشوائب ، ومع هذا .. فسنظل ننتظر البحث المكتمل الشامل المبتكر .. في حل العقيدة من الميدان الفكري ، مبحثا لا يتقيد بموضوعات الماضين ، التي تمت مع الجدل والزمن ، بل يستغرق مسائل العقيدة في الكتاب والسنة ، وأراه لا يكون في غير فكرة الاسلام الكلية عن « الله : والكون والحياة والانسان » وحينئذ نرجو أن نتعرف إلى اب الاسلام كاملا غير منقوص إن شاء الله

محمد فياض

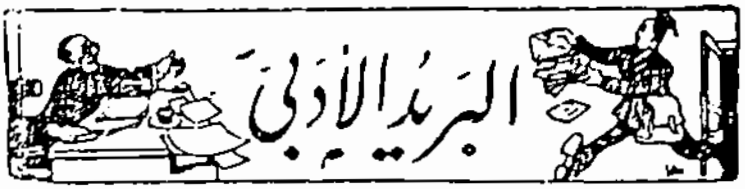

أخي الأستاذ محمود شاكر

صدقت والله ؛ إني لم أقرأ ما كتبت في (المسلمون) ولقد فهمت مما قرأت في الرسالة أن الخلاف على دولة بني أمية ، فقلت الكلمة التي لا أزال أراها حقا ، وأما أعتذر إن كنت قد أخطأت الفهم ، أو أسرعت في الحكم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

علي الطنطاوي

المسألة الدولية :

من أعجب ما قرأناه في الصحف أخيراً أن أمريكا قررت الامتناع عن الاقتراع أثناء عرض المشكلة التونسية أمام مجلس الأمن ؛ حتى لا تغضب فرنسا ؟ ! ومعنى هذا أن أمريكا تريد أن تجامل فرنسا على حساب شعب عربي أبي ، يريد أن يتحرر من ربقة الاستعمار

إذن ماهي المهمة الحقيقية لمجلس الأمن ، إذا كانت أمريكا تخشى أن تغضب فرنسا .. أو تخشى إنجلترا أن تغضب أمريكا .. فتمتنع دولة عن الادلاء بصوتها ، وهي تشهد بعينها — إن كان لهم أعين يبصرون بها أو قلوب يفقهون بها — مآسي الاستعمار تنزل بساحة شعب أعزل من كل سلاح إلا من سلاح الحق

ما هي المهمة الحقيقية لمجلس الأمن .. وكيف يؤدي هذا المجلس رسالته على وجه ترضاه العدالة .. والحال كما ترون .. أمة باغية لا يردعها رادع .. وأمة تجامل أمة على حساب شعب هضم حقه ، فلجأ إلى ساحة العدل الدولي ، يحمل في يمينه مظلمته وشكواه ! ...

ولسنا نجهل الباعث الذي استجابت له أمريكا حين امتنعت من الاقتراع ، خشية أن تغضب فرنسا ..

فأمريكا لا تريد أن تغضب اليوم فرنسا ، لكيلا تغضب فرنسا أمريكا في يوم من الأيام ! ..

فهل هذه هي العدالة الدولية ، التي حققها مجلس الأمن ؟ ! ..

عيسى مترلي

الى أستاذي رئيس التحرير :

لماذا ... لماذا ...

لماذا .. لماذا تقاضيت عني .. أما لاحتجابك عني مدى أي كل يوم تدق الرسالة كفي ولكن يموت الصدى فما أنت تسمع هذا النداء .. وما أنت ترحم تلك اليدا وفيها من الدق جرح عميق — يزول بمعلقك إما بدا أتتركني — يا أمير البيان — لنفسي ، لجرحي ، هنا منشدا وما من سميع ، وما من مجيب إلى أن يلف حياتي الردى ويمضي خيالي مع الهالكين — وشعري أيذهب مثلي سدى

***

بربك تفسح صدر الرسالة . حتى أخط لنفسي ، الطريق فكم أنت عميت نبتاً ضعيفا — بفضلك أصبح روضا وريق ورويته فاستوى عوده ، وغنى الحياة بلحن رقيق أفاض على الكون عذب النشيد فأسكره بالشذا والرحيق ولولاك ما كان إلا صدى خفوتا — يواريه صمت عميق أتتركني في هجير الحياة وأنت أب — من قديم — شفيق وتهمل شعري فمن يا ترى يصدر الرسالة غيري خليق

***

ومن يا ترى سيغني الجراح فيسكن فيها صراخ الألم سوى شاعر يستلذ الدموع ويقتات من همه المحتدم أغانيه ، ألحانه .. صورة ، لدنياه .. يرسمها .. بالقلم يود يرى شعره .. دمعه .. يردده كل قلب وفم فيفرح قبل اقتراب الرحيل وتطوى أغانيه كف العدم إليك أقدم شكوى الضعيف : فأنت الخصيم وأنت الحكم فإن شئت أسبغت حولي رضاك فألفيتني صادحا في القمم وإن شئت قيدتني في السفوح . أغني ، أغني ، هنا ، لا رمم

كيلوني منصور سنو

(الرسالة) لعل في نشر الشكوى إشكاء للشاعر الفاضل

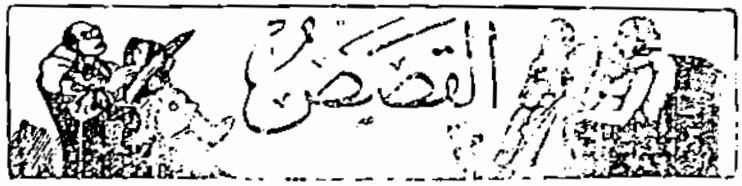

من روائع الأدب الروسي

رثاء !...

للقصصي الروسي أنطون تشيكوف

في صبيحة يوم صباح مشرق مات « عضو التحكيم » (كيريل أفانوف بابيلونوف) صريع الدائن اللذين كثيرا ما أودبا

خطوط

نشرت الرسالة في عددها «٩٧٧» قصيدة بعنوان (خطوط) للأستاذ محمد مفتاح الفيتوري ، فدفعني جمال شعره إلى إنعام النظر فيه ، والتعقيب عليه بكلمة لا تفي بما يدور في القلب ؛ ومن العلامات الرئيسية على مكانة الشعر في النفوس ، ووقعه الجميل في القلوب ، النقد البريء له وإبداء الرأي الصحيح فيه

يقول الشاعر في وصف الحصير العتيق :

حصير تقادم حتى بكا ... د يخضر يرجع عشباً نضير

وكل ما نعلم أن الحصير المتقادم يسود ويمفن إن كانت هناك رطوبة ، كما هو شأن حصر الفقراء ، وكيف يكاد يخضر ويعود إلى عشب نضير ؟ ويسند في بيت آخر الإهراق إلى « معول » فيقول :

وهرق معوله في تراب ... ليالية عنقرا ومسه

ولا أستطيع أن أتصور — في حدود طاقتي التصويرية — إهراق « المعول » في التراب ، إنما الذي أستطيع تصوره هو الهدم به ، وإعماله والتدمير به

وختاما أود أن تكون هذه الكلمة بداية صداقة متبادلة بين شاعر رقيق وقارئ معجب بشاعريته

سورية — هنيف الحسيني

بحياة الروس : إدمان الخمر وفظاظة الزوج ... وكان الناس في شغل بتشييع موكب جنازته الذي كان في طريقه إلى القبر ... إلا أن (بولافسكي) وهو صديق حميم للفقيد ، أسرع فركب عربة أدت به إلى صديق له يدعى (زابوكين) . ولزابوكين هذا قدرة على ارتجال الخطاب فائقة ، فهو يقولها أنى كان وحيثما يدعى ، فلا تموته سنة ولا حمى ولا سكر عن ارتجالها ... سواء أكان في مأتم يرثي ، أو في حفل بلهج ويشيد ، كانت الكلم تتدفق من فيه كالماء غزيرا سلسالا ...

وكان هذا ما حدا ببولافسكي أن يسرع إليه ، ولا سيما والخطاب الذي ألم يحتاج إلى خطيب يعدد مناقب الراحل الفقيد كزابوكين ... وقال بولافسكي لزابوكين حينما لقيه :

— إنني آت لأدعوك ... فهيا يا صاح ارتد معطفك واتبعني . لقد مات اليوم أحد زملائي ، وموكب جنازته في طريقه الآن إلى القبر . وليس لنا في مثل هذه الخطوب غيرك ... ليس لنا من خطيب راث مفوه سواك ... ثق يا صاح أنه لو كان الميت وضيعا مركزه لما أزعجتك . ولكنه (الأمين) ... فلا يليق بنا أن نوسده التراب دون مراث تاق أو خطب تقال ...

فتثاءب زابوكين وقال :

— الأمين ؟ آه . أتعني ذلك الكبير ؟

— إنه هو . . ولكن لاتنس يا عزيزي أن مأدبة عشاء ستؤدب . وأجر العربة سيدفع ، هيا يا صاح فما عليك إلا أن تاق بإحدى خطبك على القبر .. وستلمس بعينيك مدى إعجاب المشيعين بك وتقديرهم لك ..

فأجاب (زابوكين) طالبه دون ما تردد ولا إحجام ... وتكأكأ الحزن العميق تأهبا للسياق . ثم قال لصاحبه : إنني أعرف (الأمين) .. ذلك الوغد الزنيم .. عليه رحمة الله ! وأدركا الموكب وقد بلغ المقابر ، وحط النعش على الأرض ، ووقفت أم الفقيد وزوجه وأختها تذرفان الدمع المتحدر — تبعا للعرف — وما إن أنزل النعش في القبر حتى أعولت زوجه وصاحت باكية : دعوني أرحل معه . إلا أنها لم ترحل معه ؛ مع أن أحداً ممن حولها لم يحل دون ذلك . ولعل ما حال دون أن تشاركه رمسه ذلك الراتب التقاعدي الذي ستتناوله . أما (زابوكين) فقد

سكت حتى شمل الجمع السكون ، فأدار بصره في الحاضرين وبدأ خطبته قائلا :

يا ترى أبصري وسمعي صادقان ؟ ! أم أنني أشهد حلماً مرعباً يبدو لي فيه هذا الرمس المظلم الرحيب وهذا الحشد الباكي الحزين وأسفاه ... إنها الحقيقة . فليس ما أراه حلماً ، وليست أبصارنا — ويا للأسف — بخادعة .. إن من كان حتى الأمس يفيض صحة ونشاطاً .. قد مات ووري التراب وأصبح ذكرى تستدر الدمع الساخن الغزير . لقد سلبه الردى منا ، وهو لا يزال في عنفوان قوته وبهائه .. وأوج فتوته ونشاطه وإن يك متقدما في السن .. أية خسارة منينا بها .. من ذا الذي يستطيع أن يحتل مكانه في قلوب عارفيه .. لدينا أيها السادة كثير من الموظفين .. إلا أن (بروكوفي أوزبتش) كان جوهرة يتيمة فيما كان يزدهي به ويفخر . وكان أيها السادة — المثل الأعلى للرجل الكامل الرفيع بخلقه ، السامي بنفسيته . لقد كان العفيف يأبى الرشوة فلم يرتضها يوما . وكثيراً ما كان يبدي مقته واحتقاره لمن كان يلح عليه في أخذها وتقبلها . لقد كان يرفضها كل الرفض ويزدري ضعاف النفوس ممن كانوا على نقيضه . كما لا أظنكم تجهلون أنه كان يهب رائبه التافه على مشهد منا لزملائه المعوزين رها أنتم الآن تسمعون بآدابكم نحيب الأرامل والأيامى اللائي كن يعشن من فيض إحسانه . لقد ذهب ذلك الذي وهب حياته للبر ، ونذر نفسه للخير ، وإنكم لا تعلمون بلا شك — أيها السادة — أنه كان أعزب ولم يزل كذلك حتى وسد التراب ... إنني لأتصوره الآن بوجهه المشرق الحليق وبسماته الحالمة العذاب ، ويخيل إلي أنني أكاد أسمع صوته الرؤوف الذي كان يفيض حنانا ويقطر رقة وإخلاصا . فإلى رحمة الله يا (بروكوفي أوزبتش) ... إلى الجنان الخوالد أيها العزيز .. وداعاً أيها الراحل الكريم ..

وكان الخطيب مبدعا حقا في إلقائه فأحرز بهـــا إعجاب السامعين .. إلا أن العارفين منهم بالميت أدهشهم مما قاله أشياء . ذلك أنهم لم يفقهوا علة ذكر الخطيب اسم الميت على أنه (بروكوفي أوزبتش) مع أنه كان (كيريل أفانوفتش) . وثانيا أن الكل كان لا يجهل أن الميت قضى حياته في تكدير صفو حياة زوجه ، فكيف يقول الخطيب إنه كان أعزب ؟ وأخيرا لقد كانت الميت لحية حمراء كثة ولم يك بحليقها .. فلماذا يصفه الخطيب بأنه كان حليقها ؟! .. واشتد عجب السامعين وتبادلوا الهمس والنظرات .. وهزوا أكتافهم ساخرين

وتابع الخطيب كلامه : « إي (بروكوفي أوزبتش) لقد كان وجهك شاحبا مرعبا .. إلا أننا كنا نعرف أن وراء ذلك قلبا طاهرا نبيلا ونفسا كريمة » . وما لبث السامعون أن لحظوا على الخطيب دهشة بلغت حد الذهول . فقد اتجه بصره إلى ركن من الحشد ، ثم التفت إلى بولافسكي زائم البصر ، وقال بصوت متهدج : إنه حي !

— من تعني ؟ !

— بروكوفي أوزبتش . إنني أراه واقفا عند القبر !

— ومن قال لك إنه الميت . ؟ إن الذي مات هو (كيريل إيفانوفتش) أيها الأبله ..

— ولكنك قلت لي إن (الأمين) قد مات

— لقد كان (كيريل أفانوفتش) أمينا أيها الأحمق .. لقد حل محل (بروكوفي أوزبتش) بعد أن نقل هذا ككاتب في مستهل العام المنصرم

— أني لي أن أعرف هذا ولم يسبق لي به علم ؟ !

فأدار زابوكين وجهه شـــطر القبر وواصل رثاءه وعينا (بروكوفي أوزبتش) عالقتان به تحدقان في حنق وغضب .. وما إن انتهى من الدفن وعاد المشيعون حتى أخذ زملاء (زابوكين) يلغطون ... لقد دفنت رجلا حيا ... وأسرع (بروكوفي أوزبتش) إلى الرائي حانقاً ساخطاً : لا بأس أيها الغبي الأحمق بخطيبتك إذا كانت رثاء لميت .. أما أن ترثيني وما زلت حيا فإنها سخرية بي بليغة وتهكما بخلق فظيعا ... لقد قلت إنني لم أقبل الرشوة وأنت بذي أغراض ومنافع .. ومثل هذا القول لا يقال عن موظف حي إلا بقصد إدانته واتهامه ... لم يطالب منك أحد أن تصف وجهي المخيف المرهب ... إنها إهانة فظيعة سوف ترى مني العقاب عليها »

ف . ع

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات المصلحة ومطبوعاتها

أنشروا إعلاناتكم بأسعار غاية في الاعتدال في محطات السكك الحديدية حيث أعدت بها أظهر الأماكن وأحسنها لعرض الاعلانات

وكذلك في المطبوعات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل القطر وخارجه

ولزيادة الاستعلام خابروا :—

قلم النشر والاعلان بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة